

9664
SIA

رواية
البسر الحفي



في
القبر اليو تعاك
شكري بشاره ارقش

تفكة بالرواية في فراغ من الاعمال غلبة لفكر
ذلك قيد آدابا وعزما لقارئها البصير وحسن صبر

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٨٩

تقديم الكتاب

إلى سيدي الوالد كرمه الله

هذه عدة اترلف بها من رضاك انما هي نزر المثل القاصر الى ساحة
الخيال القادر وطية تنفك بها سويما في مقابلة لما صرفت من الليالي
الاطل ساهرا على نفاثي ثم على تربيته ثم على تعليمي وقد عربتها عن
التردد اوبه من احد كتب المائلة الشهيرة المعهود لها والفضل الكوتيس
حاشي ببعض تصريف في زيادة تفاصيل ونقص اخرى ما اقتضى المقام بلجل
المائدة بها والفايدة اعم بما يطابق اذواق بني بلادنا ويوافق نوتا
عواطفنا من عندنا والغرض من الحكاية بزع الستار عن وجه
المعنى واحوال المعاشق واطهارهم على تراجم النقبات في طرفهم وتراكم
المشاق لمل اخوان الهوى يرتدعون خلافا لما قيل

يا طفل العاشقين دع فتة اضلها الله كيف ترشدها

فما يجيك الملام فيهم اقر بها منك عليك ابعدا

وقد توخيت فيها سهولة العبارة ما وسعتني الفريحة الخامة وما امتدني

الروية الجامة ليكون من فهو نصيب للكبير والصغير فرجاني

ان تهر الهدية بالقول وان كانت قاصرة عن مكافاة

معروفك وتذاك وان تقول قد رايناك

يا شاك في عن غفلة الله

الانابة وهو حسي

ونعم الوكيل



ان فرساي مدينة من اعمال مقاطعة السي ولز عن ١٨ كيلومتر
من باريس وفي قليلة السكان لكنها جميلة الموقع على غاية من اسباب
العافية والصحة ولول من عرف جودة خلقتها فاستخارها مفرأه لويس
الثالث عشر احد كبرآ ملوك فرنسا ثم خلفه ابنه لويس الرابع عشر فطرس
على ما خط والدّه بجديد ذلك الصرح وتشيده على نهاية من النظام
الحديسي والجمال الصناعي ثم زوره بحجة تكاد لا تحف بالماكره وما من مجهل
تلك المجنة فيها بلغة من الشهرة حتى اصبح الناس فيها بين ناظر مخبر ومسمع
مؤثر ومن آيات البداة فيها قناة تنساب بين خضرتها على حد ما قيل
والهر فيها جارياً متحدثاً كالصارم المطروح فوق السُنس
كانت نجمة مياهها اذا قرس برد الشتاء فتقطر الناس حولها شباتاً
تترنج^(١) على الصنيع بهجائب براءة وغواني طائفة عليهم بهيون اعجاب وفطنة
والكل مؤثف بالثناء على ماريما نظروا نيت مليكهم بما فحمت من زهور امامهم
في ذلك المذهب التي احوت وفي نفدتها منه اعيان

فاتتقى ذات صباح ان شاباً غريب الوطن غريب الحال اعظم في
ملك المتزجحين ولعبتها اوقف عليه الابصار وحار فيه الافكار بحيث احرز
القصص عليهم . وكأ انه قبض على اعنة القلوب فاستألم اليه بلباقة خفة
ورشاقة عطلة لم تنفض النسا من حق الاعجاب به ليايوا المبتلة التي

(١) تترنج رلى على الحمد .

كانت تغبر الى بده عن مناصب الرفعة والنفى فاحطاً خطورة في الملة
 ألا تبعته العيون ورجح على رأسه حمام المحبة والخبرة
 ان المصلحة ما كانت محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشر
 فتحدث به الناس على اختلاف مواقفهم وشارط اليه بالبيان .
 وكان في جملة الناظرين فتافان شقيقتان في ثياب صنية على آخرزة
 ابندعة الحسن في باريس

لبيّن الوشي لا مخطات ولكن كي ترقّ به الجبالا
 مطوقتان بمقنن من اللؤلؤ على جبين من حاج
 عمر لفا الله هل رايت بدويّا طلعت في براقع موعظود
 وكان الاهمام بذلك الغريب ضربت وزينة على المحصور فالتفتت الصغيرة
 الى اخوها وقالت

— الا ترين ما يفتن بهما الرجل الذي دعش الناس بتوّه الغريبة
 وبهاؤ الاينى لك الله ما رايت احكم من نكاوته رسماً واعطى منه جماً
 فدهل الحسن في الرجال ولكنه انا اصاب احدم انزل طيو آيات سحره
 فصبيان الله ولكن من يكون هذا الغريب باعززة
 — انا شافتك معرفة فلا أكثر من ان تستعطي عنه

— وما ادراك انه بهني فاستخير عنه
 — ما اعني ذلك اولى الاستفهام مجاز
 ثم نادى الصغيرة باحد الحشم الواقفين في خدمتها فحضر وامرته ان
 ياتها طناً عن المتزجج الغريب فانحى ثم تغيب بين الحماة
 وبينهما في اعطاره اقبل المتزجج مندفعاً على الجهد بسرعة حتى انتهى
 اليها فوقف وامعن النظر فيها ملياً ثم عاد وهو يثنى كالقصن وبهاهي
 ما وسعة الحسن ولكن جسارته بل قنعة سات امراته (وهو اسم كبيرهما)
 فالتفت بنفرة الى اخوها اورود وقالت

— كفانا مقاماً هنا فلنّ هذا الرجل ما وفانا حرمتنا ولورّا نا احد
من الكبار لظنّ فينا حواء

— لك الخمار غيران النهار حج والمستزّه فرج

الرجوع اولى فقد هزني قلة توقيره لنا

— انذهب قبل هود الخادم الذي ارسلناه

— دعه انه يبعنا الى الميت

فرجعت باخها وما ابعدتا الا قليلاً حتى لحق بها الخادم واخبر ان

ذلك الرجل مجهول المحسب والنسب والاصل والفصل

وكان المتزيج قد تركنا محذقة لما غاب الثقاتان وسار في اثرها متلطفاً

حتى أدرك خادمًا متأخرًا فطرح في يده قطعة من ذهب

— اسقي سيدتك ان شئت

— سنام دي بوجور ومساما زيل دي سانت مام . ففكره ومضي

اما الشقيقتان فدخلتا في احد الاقمية وصعدتا في سلم يوصل الى

الطبق الثاني من القصر (وهو منحة من الملك لمن كان يوثر من حاشيته) ثم

دخلتا الى غرفة مفروشة بالهيج الانسية ومردانة باروان دفيقة الصنعة من

الذهب والنفضة والحزف الصيني فسلمتا على شيخين مصطلحين فجاء النار

سيد هيب طاعن في السن وعجوز اقل منه عمراً صفراء اضعفها ازمان مرض

— مرحباً يا ولدي ما اطلتما الغيبة على غير عادة

— لم يبعنا يا اماء ان نبقي دفيقة اكثر فان منزلكما من موقه الناس

انبقى الصنعة غيرانه جصور شخ حبس اورور ببصره وكانة جعلها شغلاً

شاغلاً له فما وجدت انسب من الفرار

— ظني انه مال اليك اكثر مني وانه ...

— مكفي اري أنّ كتيكما اصبتا حظوة في عيابه ولا غرو ...

فقاطعا المركز

سلا تفهكي بإسبده بل امدحي الكوكبة امرانت على فطمتها التي تدل
انها رزينة مختصة فان بنات هذا المن ائرق واطلب لا عجاب الناس من
حقوق المحرمة والوفار وقد سرني فعلها لما فهو من تخفيف احوالنا في المهر
عليها

- كيف لا تخفف احوالك وانت عندنا الوحيد بعد ان حرمني الله
انس بعلي ولم تخحك ولداً ذكرًا يقوم لنا مقامك
- ذلك فرض علي لا اهل يؤهل ارفع ما امتطعت علم الشرف الذي
ورثته من اجدادي ولا ينزل الا ليصاحبي الى القبر لا لي احر فرد من
نوري احنا

وما اتم الشيخ هذا الكلام حتى تقطب جبينه ورغرف جفنه فنكست
المركزة بصرها وزاد حزن بعلي الام الذي كان قد طال عهده فيها
فافتدعها لذة البقطة وطيب الرقاد

وللقاري ان يحكم عن تولي الرصانة والمكينة في ذلك البيت في ظل
شبح جليل كالمركز من رجال القلم المشتهين بالشرف حتى يكادوا يعبدونه
بحيث كان يفضل ان يقتل احدهم ابنته من ان يدنس عرضها وبركة
عجوز امضت حياتها في الوجع المر لا تعرف الا بتمام الاطى جيني ولديها .
قضت عصر لويس الخامس عشر فيها افسده من القضاة ولم يشتهه قط
بطهارتها وكلامها كانا سعيدين بان غرما في الارض غصين ما مسها حتى
الماء التي لولا ان الام المركزة وحرامها الخفية التي استحال على زوجها
ان يكتشفها الفتن بين الشك فيها واليقين لا مر لا بعلي الا الله

- الى ترمانون الليلة الا باولدي

- نعم يا ابني قد شرفتنا الملكة بان عيقتنا للذهاب وايها الى مرقص

- ومن يصحبكم اليه مدام دي بريون

- في نفسها كالعادة

— اذن اسالكما والحق بان تثبها لانفسكما واعتقلا جهدكما الاسباب فافهم
 طوبىكما يستوجبان ذلك منكما والمحرمه تحميكما ان لم اقل الفضيلة

— اياك تطيع في كل امر يا والدي وان اجمدنا عنك فلا تزال تحت
 عينيك وانقطع الكلام هيبه لانشغال كل من تلك الهيبه بفكر طرأ عليه .
 وطال الحبس على اورور فخرجت الى قبالة المحديقة ورمت بصرها
 على من بقي فيها فاجهتها الجماعه على اختلاف اشكالها وحركاتها واصبغة
 ثيابها وما لبحت ان صرخت بنفذه خفيفة ونادت الدوكة لانها لحظت
 المتزحج مسنداً الى صم وعنه طامحان الى التصر

— انظري يا امازنت هونا

— لا تنظاري لعل نظره يقع عليك فيمالك مكثرته له

وفي اثناء ذلك اقبلت المركزة امها وقالت

— ما بالك يا ابنتي باضطراب وحموره

— قد لاح لي الرجل الذي افرعنا اليوم في المستتره

— اري يا به لاشك انه قبيح المنظر

— تعالي فانظريه واذا نظرت فبعد ذلك حدثني

قد ننت المركزة والقت بصرها على الجماعه حتى لمحه فاضطربت فيها
 نار حاولت ان تعثرها عن الثنائين

— انه حسن لكن جماله جمال شر يحجر الشفا والاثم . اري على جبينه
 لاشمة رائعة احاده الله عن طريقكما يا ولدي فقد يكون لكما مشغوماً وعندي
 من ذلك سابق علم والاسفاه

فما نته الثنائان نزجا تسكين جاشها حذراً من تائره في صحبها . وكان
 لأمرانت تعلق زايد بوالدها ولا تسلم كم ليلة احبتها في خدمتها كل ما
 اشتد الداء عليها تقدم لما ما شاءت وتوقبها على احتمال المكرو
 — سكتي بلبالك يا اماء فليخبر ان تمتنع عن المرقص من ان يفلتك

فما بها وفي الواقع أي علاقة تصلنا هنا الغريب فما هو من عالمنا ولا نوي
 حاداً ولا الاتقان الذي قربه منا لا شك بعدد عنا أي غرض الخلق عندنا
 والحال رفع الرجل كنهه فمن وحي بكل وفار كانه يريد فكذلك
 اقوال النوكه فانصاعت^(١) امرأت وأخها الى الهراء وليست الا وحدها
 في مكانها مصوبة عندها على ذلك المل

سما اصبت يا اورد... اما اصبت يا امرأت بجوالي... يا صديقي
 لا تترأ هذا الانسان لا يبكى مخافة ان يقتله ولو كان اظهر من يوم ولده
 وبعد ذلك رجعت الى غرفتها وسلمت المترجمه في حادث اليها
 - اراك موجه يا سديتي النبي ونفسي اورد ورجعها مع مدام دي
 بريوت

- لا احرمك هذه المسرة يا ولدي . قد قرمت الصاغة ولعل الملكة
 في انتظار كما فاتها بسلام

- بشئ علي ان اعول على الرطاح واتركك في اضطراب
 ولكم اطاعت بعد الجهد وامرت نفسها اجبرها بلقي من وائل
 الزينة والصينه واستودعت امها الله الى بيت مدام دي بريوت اميرة آل
 لورين التي عدت من اعقل واحب نساء البلاط الملكي على ما عرف بها
 من لطف الطبع وطيبة القلب ما جعلها ان تسمى كليله لا بتي خالها
 المركز دي سانت مام بعد اعتلال امها

فلما دخل الثقاتان رحمت بهما كثيراً وألقى ابها اللورين دي لاهل للتعلم
 لا تفتة من الرقة والاحترام ما اشتهروا من الحسن والجماعة ووقائع لا
 تفلو من الغرابة

- اعد كما حل المرقص الرسمية

- نعم يا سديتي قد تفضلت باطلنا فليتنا للحالة ليونها

— لنا الليلة ملأجب جديدة للسرقة فقد اذنت الملكة لبعض الحرس
الملكي والشرطة المومنين بالدخول والاشتراك بالرقص وطوى زاد عدد
الراقصين^(١) وبقي القدر لنا صبح في البرية ثم ترجع الى قريسي والمساء
تجميع للسر^(٢) واذا طاب لكما فلنذهب الان الى قصر الملكة
ولما وصلت مقام دي برين ورفقتها استقبلتهن الملكة بالبشر
والشفقة

— ما احلاك مقبلة ايها الوحشة الانوسة امراتنا ودعنا اياك مقام
دي صانت مام فانا محبة بالودعة . مصالك الله بغير منا ما ريل اورد
المنظمة كالمصنع ما اجمل هذا الثوب طيك . وبعد قليل من الراحتر كن
القبيلات الى المكان المعهود .

(٢)

وعند وصول المدعوين الى ترماتون قدم لهم غذا خفيف دخل النساء
بعد الى قاعة اذنت لمن طم حده والرجال الى قاعة اخرى فوالكل
تحت البراقع ورد^(٣) نفع عما اختلفت الخلافة في ذلك العصر
وفي الساعة الثامنة صبحت الموسيقى بالحان لا الذمها تشد الى
افتتاح المرقص فخلت القاعة بالناس ما بين غادات ورجال في ثياب
جديدة جديدة الاشكال والالوان بقصر المرحه عن وصفا . ومن عادات
تلك الابهام ان تبقى الرجال والنساء تحت البراقع حتى العشا فبطل حوتها
وتعارف الوجوه

وكان بين الجماعه رجل استلفت حسن قامته وبديع صورته اعين
المحضور واستمال قلوبهم . اغيد ماس بين الجماعه فاعجب وابدع واخذ بالرقص
قريب وغرب لعجت به الصنتم قصار كانه منزل من السما

(١) الراقصين (٢) حديث الليل (٣) ملاس

— هذا الاشك فبسمه بنى اله الحسن والرقص يامولانا
 — ما ارى اله الحسن والرقص يتزل الى ترينان. فاجاب الكونت
 فيرديل

— يامولانا ليس هذا الا احدهم جلاله انعمت عليه شفقة الملكة
 مدعوية وقد سمعت مائة يتم رقصة اسبانولية يتلف عن مظهرها مدهول
 الرقص ولا غرو فانه زهرة المحرس واقرسها
 — احب ان اريكن حركاتك فليعلم اله الكونت ذلك

وبعد هنيهة عاد الكونت وقدم الى الملكة تشكرات الحارس بما نال من
 تعاطفها. وتواطأ الزايف مع الموسيقين فاحفظوا وواخرج من جميع طفايق
 فرقص بما اضحك الجيود بادى منه ثم قدم بما يلو ودرجه على تماسات
 وقواعد صفة المثال في نهاية من التفتن والفلاعب حتى صفت له الملكة
 بنفها وساقه مرارا اعادة الرقص واستدعته من ثم بلسان شفهة البرنس
 دي كوتي

— ساسمك

— اران دي ناريل يامولانا
 — لك مدة طويلة في خدمة الملك عجباً. فهذه اول مرة اسمع اسمك
 مع اني اعرف كل المحرس

— قد تعرفت صباح اليوم بالدخول في الفرقة الايكوميه
 — من اي مقاطعة اسرتك^(١)

فاعرض عن الجواب وتكلم عنه البرنس دي كوتي فقال
 — انه جيم كان ابن اقرب واصلي كل خلاني واصلي يوحى على
 فراش الموت

فلم ينف على الملكة ما اريد من تلك المكفة وجواب الكونت عنه

فحكمت الفتى ووطئته بحماية منها تدفع عنه العوايب وثبت عند اقدامه
قرب المصائب

وفهم ارمان بان وقوفه في حضرة الملكة قد طال فاجهم برقة وطى
اوان حتى تغيب في الجحاحة . وكانت منام دي بوجور الى جنب الملكة
نصع ما دار بينهما وبين القاب فرقت له وتبعة بناظرها
فاستند الى عمود ورفع برقة عهبة بنفس لانة على غير المعتاد مثل
امام الملكة محجبا ثم انقلب يخلص النساء الجالسات واحدة واحدة
ودنا من امارت فقدم لها يده وطاد بها مغبطة في ظاهرها مغبطة في
داخلها لانة حبها للرقيس وانقاها له . ولما رآنها الملكة معا امتأنت
حديثها مع دي كوتي

— ان حيك باين الم قد احسن الانتقاء
— فاحمرت امارانت واخذت معه بالرقص بما زاد الناس تصفيقا
لما واستحسانا حتى اذا فرضا احتبلا عن الكلام قليلا ثم بهأت لارمان
عبارة فافتتح بها

— ما اجود الملكة بايديتي

— نعم اجود من أن توصف

وختم الحديث بلا صلوة ولا طاهر فرجست الدوكة الى محلها معها
ذلك المجهول الغريب الذي اعترض كاللغز من ملاء "معارفون كل
التعارف

وسالها اورور عن حديثها

— ما اصبر يا عزيزتي بالسمية حديثنا لا يستاهل هذا الاسم فما
نصفنا الا بكلمتين ما يشبه تعليم ذاهب على راجع مستجملان . وفي عرض
ذلك اقبل الموسوي نازيل على منام نازيل دي صانت مام ودطها

فقامت وجلست اخبرها مكانها عن بين الملكة

— المعروفين يادوكه من ذا الرقص

— لا اعرف الا ما قاله عن جلالك

— اظن انه دوك او كنت طولوزي من الفرع الثاني

— لعلها مولاتي

— لك كياسة ومظاهر شريفة معارة وفي العشا ترى وجهه

ولم نجس امارات على سولات الملكة ولموظفاتها الا بما قل وجل مما

لا يخرج عن دائرة المحرمه لكنها لبثت معلقة نظرها بارمان لما وجدت في

حركاها وسكاها من الذكرى المجهه — تعرفين هذا الانسان من زمان

قريب ولكن اين — وهنا الفكر خالجا طول الاقامة حتى دهمت الى

العشا تجلس على المائدة تتشعشع حولها على غير فائدة . وشعرت

الملكة بخلف الجندي فقالت

— لا بد لهذا الشاب من خدمة بالنظاير فانظروا يادوكه

بعد احمدا بناتحت البرقع ابرتاب باننا تتكلم عنه

— اذالم يكن جاعا فلا داعي ليجلس على الطعام

— وانت يادوكه ارضن واحرم من اترابك^(١) ولو فقدت زوجك .

فما اراك تخطون خطوة في المرقص

ومن عادة الملكة في ذلك العهد ان تهزل وعشوراها فترشعن بهما

كانت قبلان مردودات في دائرة الاعتقال والوقار ولكن مقام ذي هوجورما

اجابت فقط الملكة على رمية اصابعها منها مقبلة على ركبها مسخرة على

عروسها التي تجست غير مرق من حق جمالها في اعين الاشراف ونسب

ذلك الى بلادي عندها وعدم اكتراث للتخفيف ومقابلة اللين بوجه قاسم

وجهه باردة دونها نفس مضطربة وقلب نقي حنون

وقد اضطرها الى ضبط انفسها ما طعمها نسوة ايها ^{بها} الصبا ما
صدما ان تجلوة مرة بنات فكرها في سرآ او يؤسا كان وجهها ^{الوجه} ^{الوجه}
لا يكشف عن طولها حريته ولكن من التائورات التي عجوز عن تلافيها
الفتاة بحث ما عرفت الراحة حتى بين جماعة غمرم المعد

فكان قلبها حيس حكم عليها بالالم والتعذيب وبالة من شهيد او مجرم
أمر امرأ لا يدفع بان يحمل الاحزان والنار الى حيث ينبغي ولا يلو عنها
يجلس لعلية او حلة مخلة فما برحت ساعة الا اقلبت مقلبت امها من
الوصب ⁽¹⁾ كان الدنيا مقسم بينهما - امك باحرية تتعذب لكن يارب
معي تعود اليها الراحة

وكانت نفس المركزة مقروحة حتى الموت من الانفس التي لا تجد
الراحة الا في القبر وامرات جاهلة ما يكره والنساء من نار غيبه طاهر نار
الهميم ابردها لهما ما عرفت في الحياة الا شيئا من العواطف والمعاناة وما سمعت
من صوت الصفي الا خفقا لطيفا قارب ان يكشف لها السر المخرج في
سريرة امها ويعلما ان تريد حبا بها واشفاقا عليها وهذا ما اطلق نور
الانتماء على وجهها وجعل ان اوور مع انحطاط ريتها بالحسن عن احبها
تملا العين كثر منها لما انها ما داخلها الم ولا اعتنت قط الا بالزهو والهن
فكانت املق وانس من احبها ولكن اضطت شركا طريح ولكن اقل حنط
واشوق ولكن اقل ولا وكالا لصغر سنها

وطالت الزينة على امارات فقامت متبرقة فخطر من حرفة الى
اغرى ويغاي خلف مقلب باب صادقت ذي ناريل فاعترض مسورها
- اذنك بكلمة باسدي واحدة فقط

وهذا الامحاح الرغيبا غابة التاثير فاجابت بنفرة

- ما امرك اظنك مشتبه في اشتباها

— لست بمغلي فانت مدام دي بوجور وكيف لا اميزك ما بين النسوبات
التي تملأ هذه القاعة فاجبي الى ما سأمالك لان من ثم سنعدي وسعدك
— نعم في المرقص فاسمك ولا حتى لي بالكدر طالما لا تخرج
عن اللياقة

— وعليو ياسيدي اتؤمنين بالغرام النهائي
— ما فكرت قط في مثل هذه المواد
— اتؤمنين ان لغة طرف تغير وجود انسان . اتؤمنين أن رجلاً
يرى امرأة اول مرة فلا يجاف ان يقول هذه المرأة لي فاما هلاكا ان
ظفراً بها

— اخبرتك بانني لا اعرف شيئاً ما تذكر فاسمع لي بالمرور
— دقيقة ياسيدي ثم تطلقين انا احقر واسفل منزلاً من ان احاط بك
وقد ترك ارفع فاعلي وقد اتسمت ألا اخرج من هنا او اطلك . انني يتم
لتبطل مال لي ولا اسم معروف وسأكون حليلك او مالك لك وتحسيني على
الرغم منك لاني مجنون عشقك وقنيل جنائك اذا لم تمنني علي بسعادة
وصالك . وقد ارادك فوادتي وارادتي لا تخيب وهي لا تدعوني الى جهة
الأجيب

— اغفر لك مزحك وهلك لانك جاهل لي وفي ذلك حدنا هنا
من الحديث قد عني اجمع باخني ولا تنكفي البتة فيما بعد
— لست بهازل ياسيدي وانا ايضا اسامحك لانك لا تعرفني لست
احد المتعبين اليك لكنني رجل ربيت في بلاد حرة على يد اناس غرسان
اناس اشد متحكمين في الافات وم علموني ان اعرف ماذا اريد وعلى
اي شيء اقدر ومتعلمين ذلك مثلي ولا تتباهون
فاخبرت امرأت ما سمعت من كلام الغريب الذي اوقد في قلبها
ناراً وما ادراك ما هي وقد ودمت لو اطالت محادثة وان لم تكن عنصرية

حلقه بما عودها طيور رجال الملكة لولم يضطرها ذكر ايها واعتادها منذ
صباها على التفضيلة ان لا تقف موقف جنير

— المختصر يامسدي ودعني وسيلي

لم يسر على ذكأ ارمان ان يلحظ ان كلامها لا يظلم من ايجاب محض

— حرة انت يامسدي ولكن اذا تنازلت فسمعتي دقيقة اخرى تبين

اننا معارف . « ان المعارف في اهل الهوى ذم » . اما انا فقد عرفتك ايها

الخرقة المعذبة المعذوبة اناسها منذ ما ولدت اعرف ان تحت ظاهرك

البرود شعله محرقه وانك بحاجة ان تعشقي او تعشقي قبل ان تهبي فاطمني

الان يامسدي فقد شغف بك رجل لا محفيل طيو رجل بارادته وقوته

ينذل كل الصعاب رجل لا يعتل حبة في سبيلك وليس يعلم ابيالي وامالي

الا انت فلا تعشي هذا المر او تنهري . والان طبعك السلام لا اريد ان

تسبني بل ليحبك ذكرى روحاً معزياً وسريراً عما قليل على حين لا

تنتظرين فاعيش فرحاً منك مستعناً لهاماتك وللدفاع عنك عابها لك

كثيرا الفضايا

وعند ما انهي كلامه رفع برقعة واربع الدوكة وجه المترجم الذي

شاهدته في الصباح فقالت في نفسها — يا لله من كان بحسبه هنا قد صدقت

امي فانه شقوة لي



(٤)

وكانت مقام ذي مانت مام منتظرة غير مصطربة وقد سهدا في الليل

الغابر بلال مبهم لا موضع فيه للفك فزادت حماها وكانت تنوب .

وفي مساء اليوم الثاني رجع الثقاتان لتغير ازيائهما فوجدتاها مطروحة

على الفراش

— مالك يا امرأت لا اخال داخلك صافياً راتقاً كظاهرك

- على عادي يا اماء ولكنني اراك آلم من قبل فماذا جرى باسم الله .
 - يا ابنتي قد جد لك امر لا تخدعيني بوقد رايت واحسنت به .
 وكيف غني اثار العباد في ليلة طال جمع ظلامها على وجه ارق من الورق
 واصفي من صلحة الماء الزلال
 فاجابت الدوكة جواب غطص ناسبة تنورها الى نصب المرقص واهباب
 اخرى لانه لما علم بحض على مدام دي مانت مام انصرفه وكذبه فطوت
 عن ذلك كلحا في حضرة اورور ثم قالت
 - انن قد رقصي كثيرا يا امرات
 - مرة فقط

- وفي ذلك انت معية
 الا والذكر في فوادها والشرق قادح في رناها
 ما مر ذكرك خاطرا في خاطري الا استباح الشوق منك سراوي
 - نعم انني على غاية من العيب ومن ثم محتاجة الى الراحة فاذبي يا
 اورور الى بيت مدام دي ريون واعتري لي عندها عن غياني بانني موجهة
 وباتمة للاعتناء بوالدي
 - ابني معك والافضل ان نمتنعر كلانا الى الملكة انها لاجود من
 ان نمتاع مع طها ان يوما كالذي قضيناه بفضلك الجسم ولا اعطها انشط
 منا بكثير

- اكتبني الى مدام دي ريون يا امرات
 فجلست مدام دي بوجور على مقعدة الكتابة امام الشباك واخذت
 قلمًا للاجتا بذكرها ولكن عينا تاهت على حرس الملك واقتنبت تحت
 النصر طنا بارمان في زيه الرسمي لا يحول ناظره عنه ففتنى قلبها واغلت
 كرسيا وربصت نحوها مدممة من الكيد
 - لا اقدر ان اجلس في هذا المكان . اورور تكتب باسمي

— يا لهيب ايها العزيزة انت اليم اغرب من غربة ما تنور من
احراكك. ظني يا اورور ان اخذك متأثرة لعدم ذهابك لما فيه من الاخلال
بواجب اللياقة فامضي حرك الله ولا تطول المسهرة فصودي
فاطاعت اورور ولو عن غير رضى واخلفت في غرفها فتزيا
وتتزين. ودامت مدام دي بوجور بحضرة امها منتظرة ان تها لما لا نجب
الاجابة عليه

— يا ابنتي ما بالك صامته الا شيء في نفسك فتكسبه لي
— ماذا اكشف لك وقد تعلمين من قبل كل ما في قلبي
— انك واقعة في خطر لا اطل وعندك شغل لا يجهل امثالي من
ذوى الاجسام الفخمة المصيبة لان لم حاسا سادسا يقتسمون بوحى ادراك
ما لا يخطر على غيرهم ولا سيما اذا كان من مهام القلب. لمحاولي ما شئت اخفاءه
لا يزداد في عيني الا جلاء. ولكن تكلمي يا ولدي العزيزة تكلمي ولا تخفي من
ارطاجي ان مكوتك قلبي لي على قلبي

— امرانت يا اماء شقية يرحمها الله. هذه قصتي اسمعها وارثي لي
وروت لما ما اصابها في الليلة الصالحة من مواجهة دي ناريل وما
تبها فاصاغت^(١) الى كلامها وطررها جانع ولونها شاحب ثم قالت

— ان للامهات غرايز عجيبة وقد احصيت بضرة في فوادي عند ما
ابصرت هذا الرجل لما فيه من مشابهة اعني وفي الجملة يجب
ان تبعد بعينك وتضي حد عينك ويمنع ولوارتاب ابوك بشيء ما اخبرتي
ولو باشارة خفيفة للعينك ومحا امك من سفر امرتو^(٢) الى الابد. لو تعرفين
يا ابنتي ما اعظم ايك للضعف في مثل هذا مع ما يظهر لك من طيبة قلبه.
فلما ترك هذه الكلمات التي افعلها من نفس ذائقة الموت على الرغم من
الآلم القاتر في جسدي والدم الذي ينشئ من شفتي

— بهشك يا امام حسين^(١) حديقاً في هذا المكان الذي يرقى حشاك
— لا يا ابني يعني لي ان اعرف جهد امرك . اخبرني ان الرجل من
خصائص دي كوتني ولكن ما اسعة الم يقله
— نعم يعني ارمان دي ناريل

— ارمان دي ناريل . . . ارمان دي ناريل . . .

وصفطت على فراشها مشغياً عليها فارتعدت مذام دي بوجور طهرعت
فنادت نساءها واستدعت اقرب طبيب الهم وممودي سانت مام الذي
كان خارج القصر فاطلع حول المركزة واستعمل لما اتبع الاودية على
غير فائدة لانها انحلت دون لكمة غير متظرة او تحسكت ان تذهب بصبرها
بين يدي الدوكة امرانت وممودي سانت مام الذي قام في حفاشته
ترافاً قحلاً وهو مالك قياد طيعتو لم يد اشارة اضطراب الى ان زال
العارض بعد ساعات

وفتحت المركزة عينها وراى على جوانبها زوجها وامرانت ولورور
باتية فيهم زي الرينة فخرت احزانهم وحاولت ان تبسم قائلة
— لا تخبطوا بعد فقد عادت لي الصحة الى حون

على ان تغور ملاصحا وضعها الرائع كدبا طامتها . ثم قد يستعطل
العيش بالوسائط ولكن الوسائط تنفذ^(٢) والقوى تنهد والموت وراء الحجاب
يرغب فر يستعطي اقتراب

— انهبط فتامل ركام الله اريد ان اتقلى بنفسي
— لا اتركك يا امام وحشك

— ان جنيتك بتطيقان يا اورور وانت يا صديقي ذهبي وامرانت
فلمست الليلة اول عهدنا بالمهرطي والعمود على شكاياتي ومطالبي
فانصرف المركز مخافة ان يزعمها انما له مسائل خفية ماذا يفعل

ايمنها موت امراته او يمتنها لرعاية ابنتيه وصياتها
اما المركبة فاغنت دقيقة استراحت بها وامرات حريته لا يفل لما
عقلها الا ارباب الذي طرحه القدر عثرة في طريقها بين ولع يومك قلبها
او خشية منه تطرحها بسوء العاقبة . ولعل ذلك الشغف المفرط والامل
الطهار طبع منها بالاستيلاء على انسان كتب المحسن على صورته « ايات فتنة
الكبرى وما كذبا »

غور ان انعكاس حال المريضة من لفظ اموي نفع للطن عدها ابدا
كيف اسهر جل ليس من انعمائها ولا من معارفها اخرجهما عن الرشد .
لاشك ان من الفروج ما يتكأ من ادنى مسة ويحدي مع استعمال العلاج
فلا حول ولا قوة الا بالله المغير الثابت

و يا في مستغربة في الأفكار افانت مدام دي سانت مام فائدة القدرة

— امرانت انت هنا

— نعم هنا وحدي

— فاسمي ما اورده لك واخفيه في طويلا قلبك امر لا يدري يو
غفرك الى الابد . ان تحت وسادتي حلية من جلد فيها مفتاح من ذهب على
شكل حلية نليس ولكنها تخفي سرا عظميا تريه بعدمالي الى كائي فيملك
صندوقه خشب ذات صناعة دقيقة

وهنا صممت المريضة من عجز الهمها فاعطتها مدام دي بوجور قطرات
شراب امرها الطيب بشرها . وهدت رويحة قليلة عادت اليها فومع افانت
حديثها

— اياك اذا كنت لا تريد ان اخرج من قفري باللعنة عليك اياك
ان يضر احد يوديعتي وخصوصا والدك . تقبيلها في خلو محكمة القتل
وتعلمين على ما فيها من الاوراق ثم تطبقينها ولا يفارقك المتناج
— كل ما تامرني يو يا اماء فرض لازم بل نفل واجب

— تعرفين اذ ذاك سب طغي وموتى وتحكمت على حياة امك بما لا
 يتداخله شكوك هينة لاني عشت ثنية نيسة وليس لي بحمد الله ان انتم
 على ذنب اقترفت امام الخلق والناس
 فقبلت عند ذلك منام ذي بوجور يد امها قبلة معنوية ردت اليها
 النشاط

— اشكرك يا ولدي على حسن ظنك بي . فلم يبق لي ان اوصيك بشيء
 من هذا القبل فانما اموت سعيدة

— لا تموتين يا امي الله يمتوك لنا سائلة لا حياجا اليك
 — لا تطعني بالمستقبل بل اذكرني ان قد دنا يوم الرجل واذا
 خطأت من صدر هذا البيت فتعوي مقامي ارا ما بك واخحك
 — فمعدك كفتاني طاب . ان قلبي المولع المولع طاب
 — ما لنا وهذه الاحاديث اخبرني عن ذلك الرجل
 — مالك جلد يا اميتي لاحبال الكلام عنه
 — اهو جميل كالاح لي

— هم ويظهر ان عنده حيلة لا تريد المصاعب الا استعارا
 — فارهم يا ابنتي . وامل لربعة لاحبابك عنه ان . . ان تتزوجي
 — الزمجة . . . انا . . .

— نعم وقد تقدم لك طلاب كثيرون فاخاري من معدن معد
 لا من يترك ظاهره

كالاكل يطعم لامعا متبهاً ولن اناة رفقة وشهيق
 فلم تحب الدوكة ~

— اعينك عاقلة حصونة فلا تشوقي

واصرت امرأت على صمتها

— اتحين ارمان

— كيف احب رجلاً لا اعرفه من اجل جمال فهو انسى ابتك

من في

— اعرف اتدع السماء وقبولها للفرور والاصحاح وقد تكونين كذلك

على الرغم منك

فحاولت منام ذي بوجور ان تغير مجرى الحديث لارتياكها واظهرت

لامها ان اضطرابها كلما زاد شدد مرضها

— لا يعني الآلات تطبيعي فاختاري لك رجلاً ولا تتعظري بهاية

الحناد على

— نحن في التفكير والله في التدبير فاجلي هذه المذاكرة الى الغد

— أي قد اطلق عليه امالي لا ترفضني طلبي اعزك الله في هذه الساعة

المرجة واقسمي لي ان لا تنهي السنة قبل زواجك في رضى من ابيك

— لا اقدر ولا اريد

— ليا تركت نصري اليك يا امرأت ابليلين سوي عالي الاخرمات

فبكيت الدوكة بكاء مريراً وجئت على قدميها امام فراش امها واسمعت

لذلك يميناً مغلفة بما عزى امها الميتة فاطلمت عندها مستريحة على صاعد

ولدها... بارهاه مانا وعندها... ولكن ما وسعني ان اخالنها...

وحطمت المراكز في نومها احلاماً قتالاً واسمعت هذه الكلمات. ارمان...

ارمان... اوجد ارمان في الارض باقياً من عهد خمسة وعشرين سنة.

وتنفض الليل كله على هذه الحالة وفي الصباح انت اورور تنوب عن

الدوكة في الخدمة وانصرفت الدوكة الى مخدعها فنامت ساعة ثم افاقت

وفرعت الحجر من تحت عي احدى نساءها فرأت على المنضدة كتاباً باسمها

ففتحه بلا اكتراث كما اعتادت ان تقرأ رسائل الاستشارة ولكنها رجعت

عند اول كلمة تلتها

«احبي ما شاء الله بين اهلك لا تريد من ذكرى الانها لك»

«ومعني الأربعة فيك ولا يهتدي عنك حاجر حصين كأيك وحشوك»
«وكل من لا ذك. اتبعك الى حيث تذهبن» فالارض واحدة وانك
«واحدة» ولا يقني حوتك اعتبار مستقبل او مصلح. من اين اصابني هذا
«الغضب بك حتى اعطش اليك فما اروي وانت كبارح^(١) الا اروي^(٢) قد»
«رايت نعماً بما لك ولم اكثرت لمن. اما الان فاعطني بأمك يا ملاك»
«اقل هداياك المن والسلوى لا اتبطلك^(٣) عن هذه الفرائض المقدسة حتى»
«اذا استأثرت رحمة الله بأمك نبت لك عنها. وقد اوثقنا الود فلا يجل»
«الأ الموت والسلام»
ارمان

وبعد قراءة هذه الرسالة حمد النعم في عروق امرأت من تلك الجمرأة
التي لا يلقم عليها الاكل غني قوي طارف احوال منزل معشوقته. فقصت
النية على اخفاء كنهها عن امها وجلست تخفض عليها ويهدي روعها حتى
زالت آثار الاضطراب عن وجهها ورجعت الى مساعدة المريضة بفعلها
الاعتيادي من الركن والمكينة فوجدت مدام دي سانت مام في نكس ملأ
جسمها من العياء ورمى اليها كتلة في اغباط وتفتت أكباد الى ان من الله
عليها ذات ساعة تجسسون حال خفيف انن لها ان تعود على بدء الحديث
— قبل ان اودع العالم بازوجي العزيز اود لو انطأ من على مستقبل
اولادي

— اذا ذاك الله اليو الست انا نائما عنك ما رضي الحماة بعدك الا
لهذه الثابة

— ولكني ارى حالة امرأت لا تناسب عمرها فان طالبيها كثيرون
من الذي تؤثره
— كلهم لا تقون من حيث الجاه وطيبة الاصول ومام دي بوجود

(١) شارد (٢) جمع اربعة وهي التزاة (٣) اعطتك

مثرية^(١) فانيه شآئت مبارك عليها

— ومن تصطفين يا امرأت

— رحمة يا اماء

— ما اظنك نسيت وعدك . فغالت اورور

— انا اعرف من تنظي

— من هو يا ابنتي

— ذلك الكونت البديع الخلفة دندولو اللسيه بعدها ويقدم لها

دراهم وقصور عديدة شاهقة ويشترط على نفسه ان يزورواها فرمأكلها

رغبت اليه في الرجوع

— من اين لك هذا الاعلام كله

— من الكونت نفسه فقد قاله لي منذ ثلاثة ايام في بيت الدوكة دي

بوليناك عند ما ارسلني اليو ابي نهاية عنك

— ما مرامك يا امرأت

— مرامك

— احب ان ارى بملك قبل ان ينقض غيمي واجمع بين ايديكما

واكل^(٢) سعادتك الى زوجك بكلمي وصاية

ففكرت مدام دي بوجور انه الرجل الذي مالت اليه كل المبل قبل

اعتراض ارمان بينها ولا سيما لما قرأت من الرطببات الناهضة عن فينيسية

طروصاف تلك المدينة التي ما سمعت قط يفلها ولم تحسب ان شأبا يفل

اي باب مقاصدها ويلقيها في فضاء من الشك واللبال فسمع المجال ينفضي

الى الوبال . ولكنهما ظنت ان ارمان قد سلاها لاعتطاع رسائلها عنها ولم

تذكر وعده انه لا يجرى لها ساكنة حتي ينقض اجل امها

— اترضين بالكونت دندولو يا ابنتي

— نعم يا امي

— وانت يا عزي اقبال للاقتران

— قد استعلت عن الكونت فندولوفانبت انه اديب حسن

الملوك ارباب اشهر اهل توصيه نسباً لا بحالة غير انه بسيد النار قلدي^(١)

المزار فالارادة لامرانت في قبوله وعطمه

— استدع باذن الكونت من الليلة

— من الليلة يا اماء

— انت ماهلة وانما مستحيلة وللذين على فراش الموت مطالب ومطامع

عده يا ولدي دعاني الان واياكما وعن قريب انادي وكما فبطني ان لا

تذهب باقي سويحاتي ضياعاً

فخرج الثنتان والنت عليها مدام دي بوجور بصراً مغبوراً اليها بالتفرع

— لي نعمة اسألك ايهاها نعمة تطيب او يقال الاخيرة

— كلما تطليته سهل

— اريد ان اري زفاف ابنتي على الكونت فندولوف الى جنب سريري

عندك الف حجة ضد ذلك وكلها قاطعة مانعة لكن في مثل حالتي يقتصر

للمريض بما لا يقتصر لغيره لان الموت يسهل كل صعب وليس على ذلك

جواب . واذا احببت نكحتم الزيجة ضحياً لتفسير الناس وتآويلهم فامض

وكاشف الملك والملكة بالمروهما بدفنائوا في قلبها لما عهدنا عندهما من

الكتان ولا سيما لما يتعلق بالامر^(٢) الموطنة^(٣) بها

— من اين هذه الرغبة يا عزيرة . لماذا لا تنتظرين حتى ين الله عليك

بالعناء فتقوم بالحطة اللاتقة

— لا تقوم اني ابرأ فذلك عين المستحيل . اعرف امرانت اكثر

منك مع ما في قلبها من الكف بافتي لا نتعزى على فتدي الى سنة من

المهاد على الأقل ولكل يوم شأن مختلف . على ان امرأت تحبك وتعتناك
وقد ملحتها من قبل زوجها قام مقامك بالمهر عليها والميل اليها فلا تحرمها
المرة الثانية تلك المعادة انجها مستقبلاً بانما وفرح قلبي بان اشهد عرسها
ايضاً بحق آلامي وخضوعي لك

وعينها الناشفتان بخلتها بالدموع وهيبتها اشارت الى ان تراجع عرن في دخلها
- ليكن كما تشتهين يا صديقتي اراضية امرأت فاسى باقامة الحفلة
- ما عليك الا استحضار الكامن والشهود

فلهب المركب ورجع الثناتان الى الغرفة . فبادأت المركبة امرأت
بهذه الكلمات .

تحبيني يا بني وفي حياتك ما خالفت لي مراداً فاستعني لاتمام
آخرا مراحمك بوطيك . ففي هذه الليلة تزفين هنا الى الكونت دسولو
ويحكم الزواج الى ان تستسيط اظهاره . واشير عليك ان تسافري معه
خفية ولا تخافي لتأويل العالم فان شهرة اميك تضبطها في حدود الحق فلا
تعترضني ولا تتعذري بل اذكري انني اسألك الموضوع سؤال مستم
فوقعت امرأت على كرسي طاجرة عن الوقوف لمفوط تلك الاوامر
كالصراخ على رأسها واجابت بصوت ميت
- اطيع

ولا يخفى ما اضرم نفسها عند اقبال المدعوين وما اصابها من اصرار
الوجه وخفقان القلب حتى ان الكونت دسولو راي ارتجافها القوي فحن
وقال للمركبة

- يظهر ان مدام خائفة حتي أليست مطلقة الارادة
- مطلقة الارادة بلا شك على ان زيجتها في سوء طوالع كهذه اثر في
قلبها الرقيق وقد اذنت^(١) في تسليمها اليك لا وصيك بها انا بنفسى فاجعلها

سعيدة اسعدك الله واحل محلي في قلبها ولم تطل طبعكما بركاني الى الابد
ولا يوصف ما فعلت علي قلب الكونت تلك الفجأة السارة واستماع
اقوال المركيزة البره حتى طغى الفرح في كبده وظن نفسه على باب النعيم
فقبل يد خطيبته بوفار ولطف انسياما كل غمها وحملها ان تجتو امام
امها وتعرب عن مله بجهتها بهذه العبارة
— اشكرك الف مرة يا امه

— الحمد لله يا ولدي قد طابت نفسي وقرت عيني

ولما وصل كاهن البلاط من قبل الملك عذبت آكاهل الاقتران على
راسي العروسين وبكى الحاضرون بين فرح وروح ثم وقف القربان وروعت
المركيزة ترتيلة ظفر بصوت منقطع بين زفرات تتصاعد من مع حرى وتسمع
تساقط من عيون شكرى^(١) ولكن باللاسى صدقت نومة المريضة عن
نفسها اذ لم يرض عليها الا سويحات بعد ذلك حتى رقدت رقدة الابدية
منشوة القلب مشروحة الكرب فاطبقت مدام دندول وجننها ورجعت على
قلعها وصلت الى الله تستطر رحمة عليها شاكرة لما مان اعطها انسانا
تجبه بهنما . ولست جانية حتى حملت امها الى الصريح ونفس المركيز يحضرها
المم ويصعد بها ويقبها النعم ويقعد بها واستكان^(٢) البيت من الوحشة لا
يردد صداه الا الشهيق من وراء كل قلب شهيق حتى مضت على ذلك
ايام فظهر الحق وتحدث به الناس فكثرت الاقاويل واشجرت^(٣) التاويل .
اما مدام دندول ففحمت كل قلبها الى الكونت ظنا منها ان ارمان
نسيها . وحين مكها الوقت طارت الى بيت كاتب امها فسلمها الصندوق
ورجعت بها الى اقصى غرفة في منزلها لتطلع على ما فيها واذا ذاك خطر
امها على بالها وبارق ذكر ارمان في عقلها فهتت كيف الله انقطع عن تنبها
وخشيت ان تقع من تلك السمكة في فخ اعظام منه وارتجفت كالوان

(١) مغرورة بالدموع (٢) يبع وسكن من الحزن (٣) اشجرت

خطراً يهددها ثم فتحت الصندوق ولحيت فيها رسم شخص مرخت بفتة اذ
 تأملته ثم رسائل ثم اوراقهمه جداً اصنرت عند قراعتها وجمدت من البهتة -
 - كم احسنت امي بزيجتي فليكن هذا السر المائل اشد الكتمان وانتي
 يا امي الشريفة القديمة تقبلي مرة اخرى بخدي ووسطي ان لا ينشئ هذا
 الامر في حياتي ولا بعد مماتي

—•••••—

القسم الثاني

شبهها

قبل الدورة التي هبت في قديمها أي قبل أن يهدم أركان الأمان وترتفع في القلوب أمواج العيان عرفت تلك المدينة مركز المرور والتسليم لما طبع الله عليه أهلها من الخفة والطيش والأكباب^(١) على الملاهي. غير أن الدورة بللت الخواطر ونزلت الخلاصة عن عرشها واستولى مكانها ألم حتى أصبح الشاب يصيح ورازيقولا هواء الشيخ وراية مستقبل بنه لا راحته ورضاه. ومن اغناه الله منهم عن الثوب فيما ذكرنا علل عن الزينة إلى التمسق وقنع بمناجزة عن فتاة شريفة طاهرة مباحة اصدقاه بالزنا مفاجراً لم بالمخنة^(٢) لا يكلمهم إلا بمواد الخال ويماض الخطل وطيب لهالي الوصال ولا يخفى ما في ذلك من كد الرفاق وحلمهم على القباحة الظاهرة لا براعون ادباً ولا يمتثلون ببرقع سترة تخلف الفر الأول شراجم وعقب التناخير فباح^(٣) إنما هو تناخير اعظم

غير أن العوائد سهلة الاكتساب صعبة الترك فهم ترك كل أشياء من عوائد سليم وحفظ كل أشياء اشهر ما فيها الزين المعروفة بالمرافق وهي ايام فرج وملاعب ومرافق يمنع فيها الناس للاحاديث والاغاني واستماع الآلات في أماكن عمومية

مكران يرقص ضاحكاً مثفلها وميم من علفه متبول
هذا تريد المطربات جنونه ويصوب ذاك من الحنين ذبول

فبينما الناس يوم زينة في تناول الكلام وتناول المدام ظهر كي^(١) على
شاملي قناة تدعى الككال غراند طويل الفجاد فخجياً بدثار^(٢) مظلم وبرقع
أسود وكمة ناكسة على جبينه يفتش عن زورق للعبور ولذا ينوي اقبل عليه
فناداه وانطرح في زورقه وعين له مقصده فاقطع النوني صامتاً الى ان قطع
بو الككال غراند وتوغل في المدينة لا يسمعان الا صياح القلائف مرة
بعد مرة . وعند وصولها الى المكان المفار الموقوف النوني ففتح الباب فخرج
الراكب من حجرته وامره بانتظاره ثم ذهب وقرع باب بيت مظلم ففتحته عجوز
حدها . دناها فخبثت واختبأ . وتوسد النوني على بساط مرجة خضراء صفراء
وبعد الفجوم فوق راسه الى ان رجع المنكر فصارا الى الميازيبا (محل عام
لا اجتماع الناس) على ان الكي ففتح النوني بالكلام

— بلغني ان مستنزه سانت مارك لا يخلو من الناس كل الليل

— نعم كل الليل يامسدي رقص ولعب وزهو

— أأرى هناك الخواطين الضريقات

— كلهن واحدة واحدة تحت البراقع بفرب قهقهة فلوربان

— انعرف اسم احملن اني غريب واحب الاستخبار

— احملن مدام دندولو والسيدة فوسكاري والمختصة ندرليه والهواقي

دومهن بدرجات ولكن " مدام دندولو آية الككال في الحمال كانتا ملاك

ياسيدي مبط من السما على قيتوسا

— لعل زوجها جميل مثلها

قد اهلك هذا الخبير اشور طليك الا تعلق قلبك بها لان يعلم احميل

مثلها ويخاها بالالا يدركه الوم

— وهل تكون مبرقة الان

— ما تدرني فاتها قل ما تمشتر عن مجهون مشاهدتها فاتها مولعون

بأنجال حتى يريد أن تأمله ملء التأمل ولا اعم من أن تستأذن حسناً
للشئع برآها

— ما احسن هذه العادة . الى ابي ساطع يطول المهر
— الى الصبح اذ لا تنفص جماعة الا يأتي غيرها . ناس تذهب للنوم
وناس يعودون للمهر والكل يكتفون بساعي رقاص في المرافق
— اولا يوجد غير هؤلاء من غرباء الاصل والحسن
— نعم ميلانية تدعى المركزة برسكا وشقيقة مدام دندولو غير ان هذه
طيلة فلا تخرج من قصرها

— كيف لا تبقي اخيها عندها
— في عندها كل النهار تلاحظها وتعتني بها حتى اذا نامت تركتها
والا لما فارقتها لجهة طرف

— ما مرضها يخال لي انك مخبر راوية
— مرضها مجهول فتوم يقولون انها اسفة على فرنسا واخرون
— مالك تتوقف حدث ولا حرج . ماذا يقول الآخرون
واعطاء قطعة من الذهب
— زادك الله خيراً يقولون انها تركت في فرساي عاشقاً لها معشوقاً
— اميراً خطيراً ولا ريب

— يخبرانه من عامة الناس وقد منعا ابوها عنه قبل موته وعهد الى
مدام دندولو امر قيادها والولاية عليها ومن حيث ان مرضت الفتاة وزهلت
زهرة الاجسام على وجهها الضحوك المجهل

— من اللاجب على شقيتهما ان تقر بها من معشوقها حزير المام شريها
— صحيح ولكنها اقسمت لايها ان تحول دون اقتران شقيتهما طول
حواكما وفي تبذل المجهود كي لا تفتت باليمين
فتنه الكي طويلا وكف عن السؤال

— قد وصلنا ياسيدي الى البازار فاسمع رنين الآلات وحين
الاصوات واذا لقيت مغنا لا تمن قاتلك سليفانو كرماني
اذا احببت استخدمك ما اقيمت في قميتيه
— ليك كلما دعوت والان آأعظرك هنا
— لعلي ارجع عن قريب فاقمت

وانهرى الكي يحترق الحماة بالبق جرأة وشجاعة حتي بلغ الى سانت
مارك ثم الى قهوة فلوريان فاستند الى حائط واخذ ينقب^(١) في كل مكان فما
مع الا صياحا وقهقهة ضحك واغاني وتبادل الفاظ محب وتشويق بما ملأ لذه
دويا وما ابصر الا وجوها معتورة واشخاصا مجهولة . وقرعت الساعة اثني
عشرة وهو يراقب عينا اذ سمع صيحة قاتل

— هذه هي . قدنا منه رسالة

— من هذه ياسيدي

— ذرلينا اجل نساء قميتيه

— باذنك بعد مدام دندولن

— هذه مدام دندولن يدها بيد الدوج^(٢) رافعة حجابها متمايلة بين
الضرب . . . صدقت انها زهرة النساء .

ومرت امرأتان قربا من الغريب الكي حتى لمحة طرف حطنتا فارتعدت
فرائصه وجمعا تقول للزوج قلني على شفتي المسكينة كلما ادنوها تبعدني
فاطلب التعزية في هذا المكان ولا عزاء لقلبي ولا سرور لفتي طالما هي
عليلة لعل اخي —

ثم رجعت الى محلها وبقي الغريب يتطلع اليها وكلة عمان ويجمع
حديثها وكلة اذان واذا بها التفت الى جهته وهمت ما همست في اذن
رجل كي فانحنى وقبل يدها بما ارسل على ملاعبها برينات رضى وسرور .

فاحتدم الغريب لهذا المشهد واندهش ويده على شجره وقال احد مجاوريه
 - تعرف هذا الرجل البدي الذي اجترأ على السيدة دنلولو
 - من تراه الا الكونت دنلولو ومن قبله الكونت هذه الرقة
 ليس زوجها

- اتحب اخمها مثله
 - نفس المحبة
 - لك الفضل على اعلاناتك والسلام
 وبعد ساعة ترك موقفه وحاد فركب الزورق قاصداً الدوغانا ولما
 وصل اليها وقنا

- اتي نفسك باستهانتان ترجع شيئاً من المال
 - ايجسر لي ذلك
 - سهل سهولة. تعرف قصر الكونت دنلولو وخفاياه ومساكنها المحبوبة
 - لا اقل من زولنا معنا بسبب ايتي لي مستخدمة فيه
 - قدني اليه على الفور فاكثر عطاك
 فانطلق الزورق كالهم ونوارى عن العيان

(٢)

وفي اليوم الثاني دخلت امرأت الى غرفة اخمها وكانت ملقاة على
 فراش من حرير غريقة في بحر افكار عميقة غارقة الاعين باسمة النفر
 منبهة القوام بحركات كار او امل او كلاما انقضت امرأت واخلت بها
 - ما سمعتني داخله يا حبيبي
 - فارتفعت اورود
 - اهلاً وسهلاً بالسيدة اشكرك على العناية التي بذلتها في شاتي قد
 تعافيت الان بحمد الله

فأضللت بها الكوننة مدعوثة خاتمة
— لم تخلفين بك من يدي بما أسأت اليك لعل تصورات جديدة
داهمت غلك اليوم

— أ كان ما يمر في الحلة أمس
— مثل العادة فطافا السوال
— لا في اريد ان اذهب الليلة
— أنت قد هويت وليس لك طاقة ان تقوي
— نعم انا الضيفة امضي
وهبت من فراشها ترقص بكل خلاعة وجمه وامرات تنظرها مدلهمة^(١)
غير مصدرة بصرها

— في الامس كنت نازعة
— نعم في الامس ولكن اليوم قد طلعت الشمس لقي الشمس
— اورور بمكانك انك تخفين عني شيئا
— لو كنتك شيئا لكنت رديئة كافرة بالمعروف بعد ما تهلون
لاجلي من العناية
— ما هذا الحكم كليتي . فصيح من اين هذا التغير الكامل أنت عن
جنونك

— اصعني ولا تحكي في عواطف حرم عليك ان تهيبها
— فاحمرت وجنات مقام دنسولوم من الاضطراب وشعرت برأفة
عميقة على احبها ودنت منها لترجها الى الفراش
— دعيني دعيني اعرف انك لا تحبيني
— كيف لا
— كلا لانك تريد من تعاسني وانت التي تضرعت الى ابي ان يحرمني

الفة من تعشقة إلى حد الآن تبعدني عنه أنت قاتلي ولكنني لا أموت

— ويلاه ان اخي قتلت رشداً !!!

— اذهب الليلة إلى المرقص وإلى سانت مارك فيبرى الناس جمالي

مقابلة لملكك ويحكمين على أينا اجمع واربع وأكون سعيدة سعيدة

— في يدك ان تسعدي اذا شئت فاطلي الهوى واطفي نار الجوى

— لا اسلو ولا اريد ان اسلوبل حبي ان احبى وانذكر

ما نظرة ملأت فهادي بهمة وثقت هموم القلب والاحزان

— برحمة امنا اورور لا توقعني في هذه المحيرة اشرج لي صدرك ماذا

بمرك بهذا المقدار

— حلت الليلة الغامرة

— ماذا رايت

— الدردوس

— الدردوس جميل بلا شك

— جميل وقد اردان بوجوده

وخرجت الى الشرفة تحتم الملاء الصافي وتبلي بنور الشمس ملتفتة

الى الزوارق تنقش ولا ريب عن انسان

— ما احلى النهار للترويح

— لا تخرجين اليوم ثلا نمناذي

— ما حرك ان خرجت لطل محكوم علي بالحب او عساك تنوهميني راحة

— مالك يا اخي . بمرك ما اجنني باقسي وامر كلاماً

وسكنت تتأمل في اختها واذا بفكر مر في عقلها فتالت في نفسها

— لعلة هنا ولكن قد ارحل بعيداً فلا سيل ليرجع . يارب ماذا

جري لما يهيني ان استنهم

ومضت الى قاعة نساها وسألت فاجبتها بصوت واحد ان سيدنهم

سهرت الى الماطة اتحين ونصف ثم قامت واقتلت ابواب الدار ولم يسمع فيها حركة الى حين افاتتها الاعياندي

— الم نصلها رسالة من احد

— البتة لا رسالة ولا تبليغ سلام

وبها من على ذلك نادت اورور باحدى نعامها تشير الى انها حازمة على الذهاب فصعدت وصعدت وراءها مدام دندولولو قالت لا تخمها

— ساستعد لم افقتك يا اورور

— لست بحاجة اليك عندي خدي ولذا كنت كوتة من شريكات

فهنسبه فاننا مركزة من بيت دي سانت مام

— لك الحرة ما ستدي حاشيتك وتلتقي عن قريب ان شاء الله

— آ مري ان يكف زورقي لانني اريد ان اشاهد واشاهد اليوم

فتركها امرت ولو صتان بجلوطها بمحسلا يدانها احدا حاطت بها اقضي المقام للامن عليها واسرعت الى قاعها لتعلم الكونت مخاوفها

المجدة . اما اورور فترت احسن زينة وطرحت فوق ثيابها دثاراً وردي اللون واخذت برقها في يدها والتفت بالعجاب الى المرأة ثم قالت

لا حدى نعامها

— المت جميلة الان

ولم تنتظر الجواب بل نزلت في درج يوصل الى القناة . لا يكاد يعرفها

الناظرون لشهوها السريع

فريدة لوراها الشمس ما طلعت ولوراها تذهب البان لم يس

ما طرقت دقيقة في الارض مترجمة ثم لمعت ملاعها وحاً . وجهها فركبت

الزورق وسار بها بين نصفي قوم مجنوبها من شاطئ القناة وينثرون

الزهور على اقدامها داعين لما بطول الدولة وديام الصولة وهي سكرى من

الطرب تقبل الهدايا بالشكر وترد السلام بالسلام حتى لم يبق جانب من

المدينة إلا استعجب حوزها ولا ساكن من ألقائها إلا حركة تصفيق الناس لما في مرورها ثم رجعت إلى القصر تمس بها وتخال ليلاً واحدة نفسها بالرجوع في الماء. ولما حان وقت العشاء نزلت إلى قاعة الطعام على غير عادتها فوقف الحضور لاستقبالها وتقدم الكونت إلى لقاءها باسم مستبشراً فحيت بالطف تحية وجلست قرب أختها

— قد دعيت لاربيب لوجودي بينكم ومات يدون عجباً اذ تعلمون

إلى شئت.

فهما ما أكل وخصوصاً مدام دتلولو مع خوفها المكثف من وقوع خطر صعب لا يعلم فيه. وبعد العشاء ذهبت الأسرة بهيئة إلى سانت مارك فاطت الكونت بدمامليل دي سانت مام وتخطرها بين الناس يمشون الانفتاح على حبسها وطلوبها

— الأترين امل بلدتنا يقومون بحق الجمال أكثر من سكان غرماني

— لا غرو فقد جعلتم على الطرف والرقعة

— تخمين لا شك الطرف

— أفضل الغرام المست قول برأي

— لكل امرء شأن تبارك من يرى

— شأنك أنت أن تحب امرأتك لأنها غنية شريفة وأفتتكم وأفتتها

فاستنصب املك طامها ويحكها ولكن انصفي بالجواب لما ريت طبع من الاخلاص. لو ان اخوتي كانت مع جمالها ولطفها خاة فقيرة لا نسب لها ولا غنى عديتها وعشقتك حتى العبادة أكتت اقتدرت بها وهرضت نفسك للهلك كما تعمل الآن من اجلها أوكد ان فلك يجب لا وقلبك نعم

— لو وجدت اخذك في الحالة التي وصفت لما تعشقتك إلى حدان

اشارتها في كل مالي فان الانعطافات اذا لم تأتي من نفوس متساوية الرغب لا امل في دوامها وتلكها. ومع ذلك انا حدثان الكونت دتلولو

أعبل أمة إلى مسكنة برفعها اليو فيقولون هذه مدام دنسولو ولكن
مداموازل هي سانت مام وهي امرأة الماتق بزفافها إلى الماتق في
الحالة الأولى سواوة الرب وفي الثانية اختلاها فانظري ان يراك الى رجل
دونك متزلة جنون وحق

— هذا ادعاء امرأتك فلا يهني . احبة وكفى

— التحية ابنا وهل يعوض عشقة عما تخسرين لاجلهم من الرقة والمال
لا سمح الله ان يسقط الفشاء . عن عينك وانت في حوزة فلا تفطك
الحسرة نلما على ضلالك . ولكن ما لنا وهذه الاحاديث الان في ظروف
كبهذه تأتي الا اللوح تعالى غدا الى غرتي فابر من لك انك حائدة عن
طريق الاستقامة في العواطف والمحبة

فاحلمت نمطًا واحتفرت للجواب اذ اقبل رجل طويل القامة
مبتكر واحد الكونت بالسلام

— ابرزن لي محادثة السيدة قليلا

— لا مانع اذا شأمت . ان عادات المرافع تبع هذه الحرية فالحجار
لداموازل بالقبول او الامتناع

وعند سماع صوت الغريب اضطربت اورور وغضبها الاحمرار وجهها
فاطرفت قليلا في الارض ثم قالت
— ائمة

ففضل الكونت برقة واخذ يسعى في اثرها ينظر اورور ويراقب ما
يجري بينها من الحركات . واذا ذاك اقبلت من جهة اخرى مدام دنسولو
مع امرأة ميلانية وهي المركيزة بريسكا (ذات وقائع اشتهرت في ايطاليا
تقرت من مدام دنسولو بسبب نكت لما كانت تضحكها حتى البكاء) وكادتا
تبران باورور ولا تعرفانها لولم يعترضها الكني

— اريد ان اكم هين الفهوكين

فاجترته فيورينا بولما

— انك لاحلك من الليل ايها الغريب طود لو اعرفك.

— انا انا شهر من تاريخ على علم فحدثني عن اقوى طسعي رجال العالم ورا.

الحاجة ولا تظلي.

(٤)

قد عرفنا طبيعة امرات ايها امانتة رصينة لا تنقلب طليها البهجة الا ما ندر
في مجالس الانس ومجالس النفس ولكنها رادت شجراً وعبوسة بعد موعدها
طليها وتغير قلبها بسبب الاوراق الصرية التي تلتها مما منعها عن معاشره
الناس ومخالطتها الا حين تدهو اللوزم الادمية او الفروض الموجبة فلم
تعد اذا صاحبة الى ذلك الرجل الذي سألها

— افنك مدام دندولوي سيدتي

فاجابت فيورينا رفيقها

— نعم طانا المركوزه برمسكا فاما مرارك منا

— الست صاحبة تلك القرية الناصرة بليمانتي

— لنا تلك القرية التي لا تزال السموح تنضج منها ومجاري الامى تتدفق فيها

— ولكم ايضا صرح في ترامبون يسكنه الكردينال دعرنيور

افيد لك. اذا حدثني بوقائع املي افزعني فرحاً عظيماً بجرمي اليوم

كل الليل ويلقني في وساوس هائلة

— بل اذكر لك شيئاً من وقائعك ونسافر قليلاً بالكر انا لم نسمعنا في

— الى اين

— الى نابولي

— الى نابولي... ومع الاصفرار بمهماها... فاما نجد هناك

— هناك نجد عند بروج القهر زورقاً على البوغاز فيه شابة ميلانية

بدية المحسن تروجت منذ شهر والى جنبها رجلا فرنساويا بمسما وجمالها
ثلاثون على عذبات حربية يجتذنان بالهوى *

— هذا شيء عام في كل مكان وزمان ومن يحش به

— اصوري الى النهاية واحكي

— بل اريد ان اسالك قطع هذه القصة او تنهيها عما قليل

— اخبرك اياها برمتها وعمك

— ما اسمها اصحابها

— تذكرها في النهاية

* وطن الشاب قصة اول عاشق هامت به عروس شهر فكريس لما

حماة ولو انقضت الحاجة لنقل الموت على نفس عهدها . وبعد

الاستقراء سار الرفيقان الى قرية جميلة تدعى كستلار فتزلان من الزروق

متعاقبين نسم له ويسم لما سكرانين من خمر الوداد

— يا حبيبي وحياة اشواقك اليك وتربة الصبر الجميل

ما استحضت عيني معاك ولا صيوت الى خليل

على ان زوجي يعود فدا من غيابه فما الحملة للقاء .

فاثر هذا الكلام بقلب العاشق وترجم في بحر الامل واليوم حتى انه

قصد ان يجمع بها معرضا ينظموا الى الهلاك والعار . *

— ان قصتك ايها الكي ملة فاقصص الباقي على غورنا

— لا ايها المركبة العريضة احب ان اعرف ختام هذه الحادثة التي

استجلبت حبي

وقدم الكوتة شيء خفي ان تسمع تمام القصة من رجل فرنساوي

افاق في قلبها تذكارا خامقا مع طويل الايام حسبت انها عرفة من قبل

واستدلت على ذلك من اختلافات في صوت المصنع لم تفك انها سمعتها

في مكان لا تعلمه

— اسمع يا سيدتي تمام الخبر
 «وقى الليلة تمسها رجع يحملها من المنفر فقايلة بهليل عظيم
 وبتمت تلك حالة الفرساوي ثلاثة سبب الى ان دعت مسوقة فلهلة
 الى جبهة كاتما فردوس الصيم بالقرب من صورتي
 وقضيا فيها ساعات طويلة قصيرة تحت سماء صافية لا يسمع فيها الا
 صوت الغرام حتى دنت ساعة الوداع
 — ان زوجي ناهب لي الى بلاد اعيش فيها بين رقباء لا ترداد الا
 مناظرة لي وسعاية في حتى وقد جعلت لك هذه الساعات اعداد ساعات
 التسم فطيك السلام

— اذن مهرب وموت كلانا فاننا لا اطيعي بصادك
 — لم نموت نحن وبقتل السائر نفوذ بالافتقاء
 ولما وصل الكي الى دنا قالت المركزة للمنام فقولوا
 — ان قصته لمادة م لكه اما كفانا ما سمعناه
 — اريد الوصول الى اخرها ولكن اذا كان يؤمك ...
 — لا يؤمني انما ينمي ولو كنت اميرة لامرت بقطع راسي مخافة ان
 اسمع كلامه مرة اخرى

— اصغي الى قصتي فقد غاربت من الانتهاء
 «فغسرت بالمشاق وغشقة وهولا يدري وطاعة للوداع فاقلة
 — لم تقبل نحن وبقتل انسان نفوذ بالافتقاء

(٤)

وكان العاشق طويل القامة جميل الوجه ساحر العين اخود الشعر
 جمعت فيها ايات الجمال ونشرت على راسه رايات الكمال فقير مدقع لا

اصل لك ولا فصل ولا مستقبل تعسفها ابي تمسك ففكر بقلب زوجها
للاقتراب منها . ومن ذلك العهد ما خرج زوجها قط من منزله الا تبة
بقلب من حديد موقعا كل يوم ذنبه الى الغد . واتفق ان المركز (بعلها)
خرج ليلة يخشى في شوارع نابولي والشاب وراة بظلة متباً بغير امرأه
ويريد قتله في مذهبه حتى وصل الى

— استودعت الله ايها الكوفة فان من اسرار كلامه ان يخ الاعين
الوسن فاننا اتفق لك الصبر الى النهاية لان مثل هذا الرجل لا يصلح
الا للنقص

فقاطعا لكي قالوا

— ووصل ايضا لكشف المستور عن خفايا الامور . اجمعي

« حتى وصل الى طريق بوزيليب والفرنسي بعد نقسة بالنقص منه
بعد قليل غير ان القتل صعب طمو ارتكابه لان ذلك الشاب الذي اوصلته
النساء الى اللذل والهمان ولد عزيزا كريما »

على ان المركزة ربهكا ودعت وما ذهبت لان كلام الكي اوتتها
برباط ما عرفت السرفه فاعظرت سامعة كل تفاصيل القصة

« فاجتمع المركز بقرب باب على طريق بوزيليب والعاشق وراة
فاحدرا على اهلاكه ولا يقدم لان تنكر المركز وكونه وقعا في نسيو فارادان
يعرف تبة امره وبعد هبة فتح الباب وظهر للثمان رجل وامرأة . العروس
نفسها وامر نابولاني اجل واغنى كبراً . فومو متعاقبين في ضوء القمر
بظلتان خفية الرقيا ثم سارا يحدثن فقال لك

— عن قريب اصبح لك وانت لي

— كيف ذلك

— عندي سابق علم اننا سترتظ حلالاً بالزيجة فصعش كلانا .

— لو تم هذا المنام باعترفتي لمعدت كل السعادة

وما اتم كلامه حتى انفض طليو المركز من مكثو وطفنة طلبة فخر
استقطنة صريحا - بل تشقى كل الدنيا يا بلدي

واحتست مدام دنقولو بلراع المركزة برنجف تحت ذراعها فقالت
- هذه قصة محزنة لا تناسب مقتضى الحال يا حضرة الكي ولا تمهنا
- انك ترين عن قريب ما ام قصي

ونسيت اورور انما بحضرة اخها فصالة عما جرى

- ثم جرى ان الشاب فهم خداع الامراء التي احبها ولارتاع من
النسب الذي سهلته عليه ارتكابه لحضر امام المركز بعد موت الامير

- لا تخف يا سيدي لا تخف رجلا سرك عنده فانا ارني لك واحترمك
وادافع ما شئت في سهل اخفاء امرك فخير اني احب ان اصطنع مذك
جيدا فاعلم اني كنت تابعا لك عارفا على قتلك يا امرأتك الخداعة
لا متلكها جاهلا ان في نفسها اهلاكي واهلاكك لتتمتع بهذا الامور الشقي
ولا فرغ من كلامي مدبرا ولم يلتفت مرة واحدة الى التي جعلته
في الموى مثلا

- فقد نسيت شيئا ابها الراوية البليغ. فاني سمعت هذه القصة ايضا.
ان ذلك الفرنسي كان ليطمأ بذكا لا علم له ولا ادب ربي بين اناس
مع فاخت كل عيوبهم. فمع الصمت لصا سفاك النساء وفي الجملة وحش
بصورة انسان

- هنا يدل انما المركزة انه استفاد حكمة وادبا من التجربة. والايام
كثيرة بالترية لا الناس هنا وانما شأت الكثرة اعجزها احصوت اخرى
نهما نتيجتها فتها ما معنى هذه الاشاعات التي تظهر بلار واط ولا ضابط
انما وجودي في فتوحها طلب لغاية عظيمة وظني ان هذه الليلة فتحة امالي
- اعزتك السمع تكلم

- فاتبوني الى فرنسا ووطنك

— ووطنك أيضاً وإن كان لظنك نوعاً محضاً

— ما يدلك على ذلك

— سابق معرفة قسوة العبد مبهمة في عقلي

— ما علينا وهذا كله «تمثلي انك في فرساي صباح يوم قارون البرد

يتزجج فيه الرجال على قناة حجد ماؤها فيها مترجج لا مبراث له ولا غي

وفنان جميلتان كل الجمال»

فقلت منام بر مسكا

— اظنه نفس العاشق الذي حطمتنا عنه

— لا اسمي احداً الان الى النهاية

«واخبر الحادثة التي ذكرناها في البدء رافقاً عليها اشياء تبعياً لما في

نفس من تلك الرواية

«ومن غرابة تلك المرأة انها مع طيبة قلبها قبلت رسالة واحبت

آماله واستعصمت ايها الاله طويته انها رخصت بها فعلاً من فكره بالحصول

عليها ولا سيما اذ علم انها كانت تخفي لثراء واذا ابصرته امتنع^(١) وجهها

دلالة على حركات قلبها. حتى اذا ملت من تلك الالعية طرحها الى جانب

لا تعال عن محبتها وهو مريض. وكاد يقضي عليه الاسى لما علم انها اقترنت

بغيره ورحلت عن ديارها الى بلاد قاصية ولكنه عاش للانتقام وليذكر

ايها تلك التي صرمت حبال سعدة»

وما اتم كلامه الا اعترض رجل بينه وبين الكوفة باصرع من رشقة

سهم وقال له بصوت مرتجف

— أما تبرهن لي ما اخبرت او تعاقب على اعانتك للكوفة

— اني مستعد لاجابة طلبك على ان تبرهن لي انك حقاً بالمحال

فرفع المعترض برقعاً عن وجهه اصفر كاللوت واذا بواندريما خندولوا

- لا ينبغي الكونت انني اخاف غدر طوائف^(١) فجميعها فلا نجع في
 شيئا الا خارج البلد
 - اين تظن
 - في البارحة الفرنسية التي رست البارجة في امينام
 - لا بأس من الملتقى فيها
 - بمحاطك يا عزيزي انذرها اسرع لي ان اتبعك لا دافع عن نفسي
 من اراجعه
 - مدام اين اخذك
 - ملكك ايهاها فلماذا علمت بها
 - انها معيكة بل راع هذا الرجل الذي قد عرفت اسمه فلم تردكها منه

(٥)

وللحال قنع^(٢) الغريب برقمه فبرقت اعين ارمان دي تاريل ولعلت
 صفحة فصرخت الكونتة كأنها فقدت الرشيد عند منظره وجذبت اخوها
 اليها مرعجة
 - يا ولدي يا ولدي اياك هذا الرجل
 وزاد ذلك حتى الكونت فاندفع عليه كالغضب
 - هيا بنا - وانت يا امرأت سأتدعي نساءك فترجعين ودمام تاريل
 دي سانت مام الى النصر

(١) م ثلاثة حكام كانوا مجهولين إلا يعرفهم إلا المجلس الذي اتهمهم . بطولون .
 في كل المدينة لظن الاخبار واستباح ما يقال عن الحكومة وكان يساعدتهم بواسيس
 برون لم كل يوم حسابا عاصم من المهام فيقضي المحاكم الثلاثة على المجرمين أو
 المقتبضين ثم تارة بالدين في أيام معدة كذلك وتارة بالقتل واخرى بالحبس في دحاويز
 تحت الارض (٢) كشف

— دعني اتبعكما جهاثك

— ألتساءل حتى في مناغل كهذه

اما اورود فضي عليها بين يدي اخي بسبب الضعف الملم بجميها
فاجمع عليها الناس لمعالجتها واغتم الكونت الفرصة فاعطى بخصوه حتى اذا
ذكرتها امر ان تعرفت راسها خاتمة ولم تجدتها . فدعت المركزة برمسكا
— انت مغلظة ومعمنة يا عزيزي المركزة دونك اخي ودعوني الحق
بها لدفع مضار جسمي

— احضري هذا الرجل ولا تمتصني^(١) لانه اقصى عن قبضتها فمقتلار
ما يبعد تقرب منك السكينة والسلام والا اسهلكتها بامر الحكومة
— مدام لا تمس شعرة من راس ارمان ذي فاريل اني احميه من كل
ما يلاقي حتى من زوجي

فالتحلفت^(٢) المركزة لهذا الكلام وصمت على كشف ما وراء من
التصمية . فغيرت مدام دخلولو وامرعت باختراق المجموع لا تنالي بالمره
والضحك الى الياز يانم انطرحت بنورق كاتها مقطوعة الرجا . وسألت
القذافي اذا كان قد رأى البارحة الفرعناوية

— نعم نعم رايها وزرعها باسرتي

— اقتلر ان تطيرني اليها

— بمشردقائق

— لك دهنار زيادة اذا وصلت قبل ذلك

— سمعا وطاعة

واطلق زورقة بمرقة تخيف من لم يستد على مثلها . غير ان الكوتنة
لمت عن الخوف بالانشغال بالمالا واعتماعها الكلي بمنع ملثني وخيم العاقبة عليها
وعلى بعلها

ولما قامت البارجة نوشدت^(١) عن اسبابها
 - انا فرساقوية ولي حاجة بالربان^(٢)
 - قد نام ياسيدة
 - الم بات من قليل رجلان مستتران
 - ما اعرف ياسيدة
 - افي المركب احد من قدام محرس الملك يدعي الموسوي ناريل
 فاجاب اخر
 - نعم ياسيدي وقد رايته نازلاً الى غرفتي مع احد اصدقائي
 - ايجل اليك ان يهديني اليه لمة ما
 فقال في نفسه - ما اشفاك يا ناريل اكل مع حادثة جديدة -
 وفي اسرع من لمح البصر رفعت الكوتة الى سطح المركب ثم اتزلت الى
 غرفة ضيقة النور رأت فيها زوجها وهي تجلس بكلام مقطوع من
 علي الحقد في صدرها يوشك احدهما ان يصب على الاخر
 - الحمد لله قد وصلت في ابائي^(٣)
 فصرخ الغاب صرخة دمهشة
 - امرانت... امرانت!!!
 وزاد الكونت
 - كيف... التجبرين...
 - ان في الحياه ظروفًا تحكم بتعليم عمل قبل الاخر وقد دعاني فرضي
 الى هنا فليت
 - وبك امرانت قد وقفت موقفًا يلقى في بلابل سامه. يقتضي لي
 قتل هذا الانسان او اعطام قضي لانه اجتراً عليك فانا تخفت صدق قوله
 متنا جميعاً بان ظهر كذبه فا ادري فصاحاً كافياً لجره

— قد صدق يا سيدي

— ما أنا قلوبين

— قد صدق ... عرفت قبل زفاني عليك وأغرم لي فأغرمت بيولا
أنكر مكانها والي ومخاطباتي . قد تملك قلبي فلا يارح أيتها بلاقتهينا
لا تفصل « وبعض الحب لا يجمع ماض » ولواتي قسماً بالله أحييتك كما
أحييتك لما رضيت بغيره فما أنا كما طلت من يدس عرضها أو جهل
فرضها بل من يجهن مرة واحدة قنات الذي اختارتك نفسي فاصبر والمك
« ما دام حبل حياتنا موصولاً » .

— كيف تكتمين سرّاً ما ضياً عن بعل فسر لك كل طوبى قلبه ولو
ان سرك برئ من الذهب كما تدعين لما اغتبه

— اغتبه عنك بأوامر شخص لا يخالف رسومه ولو قنمت لي كنوز
الأرض كلها . إن أظهرته فما أخبرك إلا عن حلم زال أسرع من البرق في
مقام ضيق ولن يعلن أيتها لأن سلامتي وشرقي وعمري متعلقة بـ « أ » فنتى
لك من هلاك تقع بـ « ثقتي بكلامي واعلم أنني لست بمجرمة »
— تحمين هذا الأمان

— أحمي وأحمي عليك أنني لست بمجرمة أحمي وقد نكثت عهد وولاء

— قد سلطت عليك وقتته إلى بلاد قاصية وسعيت بجمالك من وجوده

أولس ذلك من الخوف والحسد ... III

— صحیح ما ذكرت غير أني أحمي ولا إخفاء ولا اغار عليه
وكان أمان يجمع منذ هلاك تلك الاقاربات المحسورة السرية من امرأة
طالما حذيت ولولا تلافها مع الكونت لجار له أن يؤمل بالمحصل عليها .
غير أنه اضمر للكونت كيناً كظمه بكل عناية .

وكان الكونت أشد منه احتلاماً فقال

— يا ذاك أيتها الكونتة أنا لم نخرج من حسابنا بعد قد عينا

- لا ادعك تزيدي برأيا انما هو اني لا يدرى مركبة من اساء منك
الى الاخر فينضم منه . واعلم ايها الكونت ان التي شاركتها في حماك انت
اليك اطهر من يوم عاصف ولم تحول قط عنك فكرا من افكارها فان
شكوكك الميتمن كل ارادتك وارجع فان هذا الفرس يسافر ولا يقاعد
اورور فن المسجل ان يحصل اليها ما دمت حية

- ردتني شكوكا وظلوت فانك حاسدة لا اورور
- احب شيء الي ان يتزوج ارمان باي فتاة كانت الا اورور على
انني اساعده اكثر من طاقتي لان سعادتة سعادتي والله يعلم ...
ورمت عليه لحظا عز نصاحه كلامها حتى غلبها على قلبه فغمر
دندلو وجفيري عواطفه ومد به الى ارمان

- الا تسافر غدا
- كلا انني اقيم هنا ما شئت
- مجبور عليك وميلي اليك يا عزيزي ارمان سافر ولا تفرق دقيقة
عن الرجل فلا تجلب على راسي اخلاق الدنيا ومصائبها .
- ارى يا كريمة انك

مطلي من طرف اللسان حلاوة وبروغ منك كما بروغ الثعلب
لان اتصالك تكلم اقولك فما اظن الكونت قد صدقك . وما عندي
شك انك تخادعون كلنا لا مريما

- والله والعرف وتربة ابي ما نطقت الا الحق
- ابن قول الحق وانت مبغضة لي وقد اظهرت ذلك ومتظهن به
عبرت^(١) في اشكالا واستغفرتني الى بلاد بعيدة كاد فيها ان يقتلني لحيي
لولا ان البرنس دعي كوتي شفوي ... ولعلني ابي ... رحمني وخلصني من
البلدة . ثم تمت مرثاة موت ركني للفرقة بين جليسا^(٢)

— صاحبك الله يا عزيزي ارمان . ان كلامك هذا يلحق به الما
 يمهديني ^(٣) ولا يسهو في منك انني احبك ولا اسلمو مودتك غير ان الله قد
 حكم علينا بالافتراق فلا بد من مفرك ولا تلحقه عنه
 سافر صاحبك السلامة ايها سررت . ولذا احجبت الى صديقه تبينك
 او مسعنة ترفق بك فادعني الى اي بلد اقمت يو وانا اظهر اليك بالصرة
 والمصاحبة

فاغناط الكونت لذلك وقال

— ما هذا المر . من اين هذا الحنو والاهتمام بفريب اريد ان اعرفه
 ولا امتطع الاكتفاء . بلو يحاكت
 — اعجب يا اندر يا من اصرارك على قلبي مع اني لم اعد قط
 حسن امانك في . والمر الذي في قلبي ولو عهدتني ما عهدت وتوعدتني
 ما توعدت . لا ينشئ . على ان ارمان سحافر ولا نعوذ الى مثل هذه المشاكل
 — واذا سافر وودعتك اميال قلبك معه

— كل مالك عندي من الهيام يبقى لك وماله من الشوق والحسرة
 والحب عليه يبقى له . وانت يا ارمان سافر حاك الله ولا تؤمل يا خفي بل
 دعنا نعيش بمقتضى اعمالنا والتزاماتنا . اتبع طريقك ولا تقطع علينا الطريق
 انني النعمة التي وضعت بها نفسك والجنني بطاعتك الى معرفة جميلك
 وارجع الى المقام الذي عزلت منه واظهر انك اهل له وانهم ما قدروك
 قدرك عن جهل . آأ تطرح على اقدامك فترضى

والجنحت تريد الركوع . ماثلة العيون كأنها ترجو

فذاب قلب ارمان واسرع فرغها بيد وستروجهه بالآخرى . مع
 دمعه الكريمة

— كذبتني الدموعك انني اسافر

— بدون ان ترى اورور

— كما نساكين

— ثم لا ترجع ابنا

— ابنا

— افكرك يا ارمان شكر معنأمة لوطد كرم واطك بحياة الكونت.

فاسرع بالمفرط انهب الى حيث وددت على ان لا يكون هنا وانا كنبيلك^(١)
كل ساعة وفي كل مكان وطبك السلام

(٦)

ولما فرغت عمد ارمان الى يدنها فقبلها وفي راضية تقرا في عينيها آية
التبول والصفا. فعاش الامل في نفس ارمان ومات حسن الظن (رحمة
الله) في قلب الكونت فقال

— لك أربعة وعشرين ساعة للفروج من ثيبيها ويومين للاعتدال
عن تخمير حكومتنا وبعد لا تكملك حمايتي

وقال في نفس لينة يعني أكثر من ذلك فلما راها كما اشبهت... في حين
لا يخرج منه الى المات

ورجع الزوجان ثم ركبوا زورقهما وقصدا المدينة وفي منتصف الممر
الت امرانت راسها على صدره وقالت

— الا تقي يا حبيبي اني امل اليك من كل قواي وأكثر من كل
العالم. الا امانة لك بجهنمي حتى لا تأذن لي بان اضع غيرك من وجهي
وشوقي لما لا لا تقي لي ونحبي كما اتق بك واحبك

فاحسني بوجه امرانت واستجلى كل حالة نفسها فتأكد لظنها وإخلاصها
وسمع صوت قلبها، وصوت الحقيقة لا يقاوم

— انني اتق بك يا حبيبي ومن الان فصاعداً لا السامع في فكر معوك
ومها كان السبب الذي يضطرك الى السكوت اجلة اذ ليس الا حمداً .
لضرب صفحا عن حوادث هذه المسيرة ونجمع عنايتنا على اورور وفي
اخفي لا بها الخحك هامت بارمان ذي ناريل فستطعت بوعدة لا يمكننا الا
ان نقشها معها

— فم نقشها فحلم وبعلم معدنا من الكثر . واحد الله انك الان
عرفت من السر الذي ما جسرت ولا اجسرت ان افقيه ما يحملني مراراً على
المخاطرة بنفسي كما فعلت الليلة . لكن اري نوراً عظيماً في غرفة اورور . ما
عساه يجري . اللهم اهدنا الى خير سبل .

— فعاتها الكونت وتزلا من الزروق وصعدت نواً^(١) الى غرفة اخما
فرأت كل نساءها مجتمعات واخما تنوح بين يدي المركونة برمسكا —
دهوني اتبعهم اريد اري واعلم — وعند ما ابصرت اخما والكونت هبت
واقفة ونشبت نحوها

— ما فعلنا بارمان . قتلناه يا للاسى . . . ما و يلاه . . . باطل حزني
— لا لا يا عزيزتي لطفي روعك فكل شيء على مرارك
— اريد ان اراه . . . شلت بهنكا انك قتلناه

— قسما بجهانتك وترية امنا يا عزيزتي اورور لم يصبه مكروه قد سافر
من قبيحها

— هذا انك^(٢) وخداع انك لا سافر قبل ان يراني

— الجأ ناه للرحل

— الجأ ناه ولا يرحل . انه يهواني ولا يذهب دوني وقد قاله لي لكنني
اخفي ان يكون مطروحاً في مضيق ما او ملقى في هاوية او متعللاً في احد
اقبيحكم

— أؤكد لك بسر في وهاوشي علي انه حر مطلق ما ممة شر

— لا اصدق الا ان اراه

— اذكر به يا اورود أوامر اميك عند موته ونصيح امك اذكرني
نصراتي اليك وحتوي طيك لا تدني شرف اسمك وتحلي قدرك بافعال
سيئة انت ارفع منها شأنك . انه شقاء لك وبيتنا وبينه واد لا يحار

— ما يحملك على مثل هذا الكلام الا حسدك وبغضك لي انك
تفضلين ان اموت من ان اعترف بو فانا لا اموت بل ابقي لعنالك يا
معدني وتغريق عرشك امام زوجك والناس . هو من هانك هنة الازار
خفية من الاورار^(١) كان قد انزل على عيونهم غشاوة ولكنني ارفع الصر
واكفف عن المعنى .

— تكلمي يا عزتي ولا حرج . عسى يجند ما في نفسك من اللهب

والحرقة

— يا امرأته مخدوع انتم يا بك . الا اعلم انك تبيلن الى غيرة . الم
احضر ارتباكك وتمنعك عند ما طلبت امي ربحك . اكنيت تحمين ارمان
اهلا . الم تبكي طول الليل ووجد أطمعها ما بو . كذلك دعائنا^(٢) لا تخدعون
يو من يمر بك

ومنت امرانت بعدها للكونت فتدرد في تبيلها لان هذه التفاصيل
اثررت فهو بها ظهرت دلالة على وجهه . فانت اورود

— وبعد رجوعك من ايطاليا الى فرنسا بلانا خلق قلبك وحلبت
اي ان يلعتني اذا تنازلت للتزوج يو . واحسرتاه كنت آمنة اعترف
لك بكل عزائي ومقاصدي فتمدين الطريق على اتمامها وزيدي على ذلك
انك واجهت ارمان بالسر مواجهة غاب بعدها واختني
فحقى الكونت حقا شديدا

— اذكري يا امرأتك لست وحدك هنا وسكني هذه الفتاة اكاد
اجن من كلاهما

— لا بأس يا صديقي . ان المركيزة ماقلة حكيمة تعرف طيش الصبا
وتناجح الحب . فالمسكوت اولى

لجئت المركيزة راسها فأكبنا لما سمعت . وزادت اورور
— نعم لكن عشقه طارمان لي وحدي . لي وحدي هذا الرجل القوي
المحور وقد سمعتين وراءه كامير تشرف به النساء . لانه اشرف واليق راسي
شبان عصره ولا يمتاح الا الى نفسه ليكون المتكلم فيهم
وكانت امرأت مستكينة^(١) حريصة على طرف دموا حري . ارشدني
يا اماء في حورتي سوا المركيزة نفس شفتيها من الحق كاطمة كيد ااورور
تلتفت اليها شروا محبة بالنور طليها

— تتعلمين الان يا معذبي يا جارتني الى فينيسيا بلد الاسانس والفنوخ
ويؤكد ان لا اراه قلقة غامرة عليه مني ولكن قلبة عدي . وقدر اراي
في هذه الغرفة ليلة كنت في اليازجا لمة بقرب الدوح فيكون . له
رفضي لعنايتك وتغلي من وجردك . ففقدنا ما احب . الذي من العمل
واسرع من برق امل

اوقات اني قضيتها فما ذكرت الا وقطع قلب الصب ذكراها
وسيرجع بلا شك فاشاهده مرة ثانية ولا يزداد حبنا الا مرة مع المهاب
— حماك الله يا اخي . كيف . . . آخلت بشرف اهلك وسودت
صفحة طهارتك

— اتظنون اني ابع شرقي بمن مجلس كهنا . قد ذكرت لعنة اني لي
ووصايا امي لك في حق وانتظرت الى ان شيخ الله بابا للفرج وعافيل
تعرفون مسطلي فاما ان ترضي يزفانو علي او اتخلص من رهنكم^(٢)

ولا عجب من الجحيم الذي اصابها في حب ارمان لان من الهوى ما
لا تقهر قوة فعلو على القلوب وتمكنه من العقول حتى بدلتها^(١) وكيف لا يحب
رجلاً جمع من الجمال والشجاعة ونشاط الهمة ما لا يجمع في غيره. رجلاً
استمالها اليه بقدر غريفة حتى لو اراد ليعبدوا راكمه باحقة. فبقيت منتظرة
له غير شاكة انه يقضم الموت ويلبسه في جنب وصالحا مؤمنة به وبيله
اليها ولكن يا للزور. جهلت انه مستظفها آلة للتوصل الى امرات
والاعتماد منها. سم قلبها الصبح! وهنم اركان مستقبلها السامي. وطولم
تأخر امرات للرايها وغور بها عن استجداد واسطة تنفذ بها اورور من
لحرق المخدور وار تكاب المخدور^(٢)

ونامت اورور بعد تشيع اعصاب ولبيب حتى مهوكة من المياه تخرج
الكونت والمركبة من عندها غفلة والتفتت مدام لتسلو فلم تجدها

(٧)

وكانت تلك الليلة ليلة الخطايا في بيت دنشولو. على ان الكونت
قابلت زوجها مقابلة ارجحت كليها لتجد شكوكها فيها وامتناعها عن مرضاها
موجهة كل افكارها الى حالة اخوها وسبل اخلاصها من العار انما
لوصاية اعيانها.

— لا شك يا انديرا ان هذا الرجل ما توصل الى قاعة شقيقي الا من
الشباك لان كل معاني انصر ومداخلة محرومة اشد المحرمة. فيجب ان يقام
غلاف على القناصحت الشباك حتى اذا طرأ طاري منها ثلاثا فدعا كل باراة ثانية
— اخحك يا امرات فحب ارمان ذي ناريل وهو لا ريب يجهل وقد
انضم الاموال غيرة ليقرب منها. فلم لا تزوجها ونعوض بالذهب والمال
عما ينقص ارمان من النسب وكل الاميرات تكرمة لجمالها المفرط. انني

أرى من الجور عامة اتصال أحدها بالآخر مع طنائف الغرام واثق
كلهما بقوة لا تقف وجاهل سعد الواحد من سعد الثاني وحياته الماتق
من حياة المستوفى فما قولك

— لا حاجة الى الجواب . قولي ان سواك ليس إلا حيلة دنية لتبلي بها
غوامض داخلي من ارتباك وجهي لما عندك من الرمية في . وقد وقفتك
من احوالي على ما استطعت فلا أريدك شيئاً ولو اسلمت الى العذاب والموت
فلطم الكونت جبهة يده وخرج من القاعة مضطرباً . فندمت الباب
خلعة عوضاً عن استرجاعه وتلطيفه وصرفت نساء ما كهن وثبت وحدها
في ثياب بلديها ^(١) على شرفة ^(٢) القصر حريصة مهتمة من ترك الكونت لما
بلا من مساعدته لما بمشوراته وابتاسها بمشوره ومن شكوكه فيها كتاب
نسب جديد من الاسباب

ونهب الكونت فاقام سفيانو كرماني حارساً على القاعة وهو جاهل
ارتباطه مع ارمان

اما الكونته فلبث متطلعة الى القاعة المجاورة تحت القصر لامة
كالصيف في ضوا النور واخذت تنكر في ظلم زوجها خاتمة لحق طليوطورا
نظره لجهله سبب كتابها . وكانت قد ذهب اليه وتعرضه اذ وقع بصرها
على زروق سفيانو راسياً تحت الدار وفي رجل رشق القند بري نوني يكلم
سفيانو ويشير يده الى الشباك متاملاً في القصر وكيفية بناؤه وهندسته
فوقفت تنظر اليه طويلاً ثم وقفت من الزروق الى الارض ثم اعطى على
تمثال بارز واخذ يجلس على نوايه ^(٣) الحائط بنق غريب لا يلبه الصب
ولا تروحه الصعوبة

هائم من التولاد قد فواده يرى المول كالماً الزلال فيشرب
فجيد الدم في عروق امراته وارتبط لساعها اذ علمت ان ارمان

١ ثيابها المادية ٢ المروقة بالكون ٣ صنائع القش الطائفة الى الخارج

— اللهم احفظه وانجني كيف ينبغي ان انصرف معه وما زال
 يجاهد حتى امسك بحديد الشرفة فغلب واذا هو بقرب امرأت تلح
 بلابحة يميل لا يعرف له مثل حتى في ابطالها بلاد الجمال . فالتفتت به
 ما دم قدلولو وغرت صيرة اخوها لاسمها بها . وبقي ارمان خافضاً راسه
 امامها من الخجل والوجل . فبادرته بالكلام عوفاً عن ان تطرده ويجهده
 ناسه ما يهددها من الخطر مطبعة لعاطفة في قلبها لا تهر من الابهاس له
 ولا تفارق طيو

— ارمان لم هذا البين . ما غرضك من الهية الى هنا . لماذا انت
 باق في قميسا . اتريد هلاكنا ومن ثم طول اللعة عليك
 وكان ارمان كالسبح في بحر سعادة فقال كأنه لم يسمع
 — اذكر الله الذي جمعني واباها وحدنا في هذه المدينة البديعة . هي
 امرأت بعينها اكلمها فلا واثي ينزل ولا رقبت يبصر
 بالتي كنت لها صليها اعيش منها ابنا قرينا
 ابصر حسنا طامم طيبا لا واثيا اخشى ولا رقبيا
 ارفع منها ابنا في الصدر

فرقت طيو فزارها الماطع
 سبلان من اردع في الاحقاد صلاها الساري الى الآماني
 وزين السموت بالاشراق مصبوقة بصغة الخلاق
 كفضة قد موته بالتبر

— الى متى تذكر امرأت
 — الى ما شاء الله فلا شيء يسليني اياك . اهلك كما احبى ومهاى
 بك هو اخر طامة طيبة بقيت في قلبي فلا تحوله الى بنفي لئلا نجعلني مني
 ثمراً ضاراً يستعاد بالله من اولته^(١) وشره

— بيننا وبينك يا ارمان حاجر حصون لا سبب لا يعلها غوري
فارتدع عن غيئك «ما طلب الى غور الغرام ميلا»
— بما اذل العاشقين دع فنة اخلمها الله كيف ترغدها
فما يجهك^(١) الملام في فهم اقربها منك منك ابعدها
اشترك بدمي «وكما دماء العاشقين تباح»

— ليس لي ارادة الويك بها ومع ذلك لا ينبغي لي ان اخجل منك
كلما لا ينبغي لعلك لا تترك ان الاتحاد عنك فرض علي واجب
وقلبك بهم مراد قلبي

— لا لالست كما تتوهمين ولداً تهودبة كيف طاب لك الهوى طمعا
بما لك عندي من المحرمة والغرام - لغيري ان اقلتك او ان اقصيك^(٢)
عن فضلك علي من ان اتقرب عنك - نعم انا صبور - صبور للغاية ولكن
الصبر كل يوم ينفد والفوق والامل يجفد فلا بد لنا من تزال اقل بلايا
الموت تزال اقمرك و يا ارادة وقوة مخلوقين في فطرتي^(٣) فتلصين اليوم
الذي ردتني بوخايتك ولات حزن مدم

— يا لك من شقي ردي لم التهتد والفرود وهالا بجلان عقود مقاصدي
ولا بد بلان الحكم المانع لك من مواصلتنا - والكلام الذي ظنته محوفا لم
يؤثر في قلبي باكثر من الحزن - لست اهابك يا ارمان بل ان راحك من
راحتي - فدي لك نفسي ومالي وكل ما يخصني دون واجباتي وحقوق بعلي -
الا يكتيك ذلك

— لا تخشين وعهدي وقد اوشك ان يم - فان اخذك في حوزتي
تتظر اشارة مني لتدوس تحت اقدامها حرمة ربتها وجسمها - ما ستميدها
اذا لا مني الامر - على انني استخدمها كآلة للتوصل اليك حتى اذا لست صاماً -
على توصلاتي كما دلتك فجهتك بشقيقة روحك قبل ان اصيبك بنفسك

— صه (١). قد اردت فرائصي

— اسلب اخذك وعلى الاقل اغفر فبك هذه العاطفة الباردة التي
شكرمين بها علي كاحسان لاني لا احمل القصور في الحب كما اراك الان
حينئذ تكلفني بتكلف
— كم انا معذبة بارباب

— تعذبين يا اكرم النساء والطنين "تعذبين لاجلي ولو وجدت
لاصبنا سعيدين يا امرأت ماذا اعمل كي اغفر منك بكلمة وعد ولو بعدة
الهدى تغفرين بها حالي من الرخاء عالى المجد ومن الثورة الى المسكنة . أم
تضي ليلا اس حذاً لجنتي وتعي بكلمة اخلاص
— لا احبك قطعاً كما في نفسك

— يذهب كلامك بعلي فان اصررت اقبل بعلك
— يقتل بعلي ولا احبك كما في نفسك
— ولكن تدعين الهام بي وترميني كل ساعة في وحدة قمرها النجم .
ارحميني رحمة الله طارحي نفسك وزوجك طوود

ثم سقط على قدميها لا تمنع قنوته وصلابة قلبه من البكاء فرفعت
امرات وقد صبغ الاحمرار وجهه وبرقت عيناه من خلال الدموع
— يا امرأة لا تمشي شويها انك صناعه ام هذيان اشقة ام وميض
امل بعد امرتني في عيني . يا ليت هذه الاظهارات تقطني الان اذا عليها
الهمر لاني اموت اذ ذاك اصعب مئة مرقاً قلبي الذي مال اليها ومقطعا
احشاي

فلنحب على كلامي بل اخرجت من جيبها رسم امها وقبلة وفي تبكي
عقود در على خدي عقيق وكان لما طبع طامرتني ورحمة للصايين وعطر
للهايمن . فاخذت ترشد ارمان الفصح ارشاد غور متبها لما حماء يجري من

الفرور اذا دهبها زوجها وحدها في تلك الساعة من الليل مع رجل حم
عليه بالهد عن امرأتها وضربة الحمل والمكابد

وسمعت اذ ذاك صوت طير في داخل الدار فقال

— اسمع يا ارمان كيف يخرج هذا المصفر ويطلق على غير طاعة
فهو يعلم حالتي وينذرني بوقوع خطر شديد . ان زوجي قريب منا واذا شعر
بوجودك يقتلي لا محالة . فارجع ولا تتباطأ

— ايبتلك وانا حاتمك يا امرأت بطم الله اني احببتك بقدر واحدة
فاستأمني لتوني فخلصك ولحمي فحمك .

— ارجع ناشدتك الله

— لا ارجع حتى تبني لي منفاي وتعتني باستدطالي منه فما قبل
لان غاية رجائي ان اصل اليك . اخبرني ان مراحاتي دفن عنك
فردني هياكلك . انت وسادتي وعطاماتي ولا عني من الدنيا الا اني
— ارمان بتربة امك . . . انصب رضى الله عليك

— آمل ان اراك

— ما ادري . . انصب ولا تطل الاقامة

— انن لا انصب

— بخال لي اني اسمع مشيا بالنار . . . باربها . . . ارمان بجبالتي سر

الان وانا استندحك

— طيني بان اشاهدك فيها بعد

— هذا مستحيل واكثر من مستحيل

— انن ابقي ولا اخرج حتي ما دمت اشاهدك

وفتح في اثناء الحديث باب خفي وانساب منه شمع^(١) هلايس بها في
وراء امرأت فامسك بيدها بيته وقال

— انتكرين بعد انك مغرمة بو

فصرخت امرأت

— يا رباه لم افطن لاختي

وركضت اورور نحو مدخل الغرفة الكونت تدعوه بصياح عظيم
— يا كونت دنسلولو . يا كونت دنسلولوها تأكد اني ما خدعتك .

وتأوتت امرأت

— املككني يا ارمان املككني

(٨)

وعند ما توارت اورور انحنى ارمان على الغرفة وقال

— يا ستيفانو اهد الزورق

فاطاع ستيفانو

— كانت يا امرأت

ان نكن اليوم افترقنا قدحا فموعد اللقاء . بيننا غدا

ثم وثب الى خارج الغرفة والتي بنفمو في القناة بكادوا لخطأ بحركة
ان يحطم راسه على صخرة . فضبطت امرأت جرعها وصممت سقطته في الماء
كما لو سقط في قلبها وبصرت ستيفانو يتقدم المويق^(١) الى حيث اخبط الماء
طاريد . غير ان حضور زوجها وارور الجأها الى الدخول قبل ان تتأكد
نجاة ارمان . طهرعت لمقابلة الكونت مجهدة ان تخفي انفعالها وخفقان قلبها
بقوة ارادة غريبة ليست نادرة عند النساء في المقامات الصعبة لانهن يعرفن
ان يمسسن والضخمة في القلب ويبدن صدورهن والحرارة كامنة في الاثداء
كمون النار في الحجر الصلب . وسألت زوجها عن مسبب الجلبة^(٢) التي
سمعتها . فقاطعتها اورور

— اتجاملين... تعال ايها الكونت وانظرا اذا كانت تحبه ولاي امر
تبعده عني كل ساعة

— من هو يا عزيزتي اورور؟ أنتِ حاملة ام مستبظله
— هو ارمان فلنتكش عنه . قد رايتُه هنا وسمعتُه يهيم لما بفرام ابدي
واثه موت في هواها ويقول ان

الحلوليس يطلب من يد غيرها والمؤمن بدعا شهري طيب
لا تسمع يا صديقي كلامها أأست تراه في اوهاام منام
فلم يجيبها بل ليث مفكراً بقلب طرفه في كل زوايا الغرفة . طمرانت
ترقب حركاته وسكاته . ثم خرج الى الغرفة وسال كرميتي القذاف
— رأيت افساناً في هذه الامكنة

— لا ياسيدي ولان لم تفيض لي عين
فالتفت امرانت الى اخيها
— قد غلطت يا اورور لم يكن احد هنا وهذه احدى رواق
— كفف . اغلظت وقد سمعتُه بالذي ورأيتُه بعيني لا بما كسا منوتي .
والا اخبريني لمن هذا الوسام المخصص بالقذافين الكرام لي
ولمحت تلم وساما كان قد اضعاه ارمان عند وثبه
فلم تسطع الكوته ان تطيل كلام الكلب لفرط وخز ضميرها فعزمت
على الصديق

— انما هو يا صديقي لارمان وقد اتى الى هنا
— الفجرين ان.....
— نعم اجسر ان أكون حرة الضمير
— من اين اتى هذا الشيطان وقد اتمت حراً على كل مناخل النار
— من الشرقة متعلقاً على الحائط

— ومن أين رجع

— من المل نفس

— هذا مستحيل

— انت لا تعرف يا صديقي بما فيه من القدرة وشدة العزيمة

ولعل في كلامها هذا نبرة خفية من شكوكها فيها . فتمزق قلب الكونت
من الحزن والفقره ورأت امرأت دلائل الكدر على وجهه فعدت له يدها

— نبي يا اندريا ويرجع السعد

فهر راسه صامتاً

— اجعلت امراتك يا صديقي اولئك تشك في برآءتها لما سمعتة عنها

من الشكايات والاقاويل الفاسدة

انظر الى كيد ناهت عليك جوى ومهجة من ليجع السمع في الجح

اكت صانعة القلب كما ترى لو انني خادعك

فاستراح ضمير الكونت لسام الحق في ثم التي طالما حزن كيناً معها ولم

بمكنه قط ان يجول عنها طائفة من عواطفه . وقبل يدها بكل رضى

— اشكرك يا صديقي على صفاء فؤادك شكراً من سريرة ملتها

حب لك

فقالت اورور باسمه بحمة احتقار

— يا له من مخدوع مغرور . انه لا يسأ لها على الاقل ماذا عمل ذلك

الرجل هنا

فانتم امرأت

— وبعد يا صديقي قلني فرض مكرس لا يعني الا القيام به . ان احبي

دي تاريل وادبر حياتك واسهر عليه كهدية مخصصة . يمشوني ان ارى عيشنا

عيشة كدر بسبب المر الذي اكتمل في صدري ولا اقوى على الكلام ثلاً

يصيب اسرتنا مصائب عظيمة بافشاءنا . والما احتملت كل الظنون

والامانات التي تحتفظني . فاتركني ان احيى^(١) يدي ناريل فاعطف نوراة
بالبرهان لا بالعقاب والمالعة . هذا الحرف شرح اعطيك وفي المستقبل احمت
ولا ابرمي نفسي من شيء اذا لم يكن تعلقك بي قويا حتى يدفع النهم عني
ثم التفت الى اورور بمكي امر بكاء ونفض الصدأ مغلبة^(٢) لها
ومغلبة^(٣) لها

— يا شقيتي العزيزة الا احتلي في عهدك ببعض الامانة والصدقة
السبب يا امنا الماضية
— لميت كل شيء

— انسح يا اندريا . . . ما اصعب الامر الذي يصعبني من الكلام . . .
لو كنت تعرفين هذا الامر المشتم لو قصت على رجلي كمتغري على الجاحك
وحماقتك

— سخطصين مني . قد طالما صبرت وعن قريب يفرج كرمي اذا
يدعوني فاليه الى حيث هو

ثم قامت ناكدة بصرها مطأطئة جبينها ودخلت الى مخدع سرى في
غرفتها واغلقت الباب ورآها . فلبت امرأت وزوجها وحدها مشقون
على الفناء المسكونة متحائلين على امانة ككية واستعمال^(٤) عظيم ثم فلما الى
ان اصبح الصباح وجلا فحوم الرب عن قلبها فجلست الكوة تنظر افافة
اخيها فرحة بان زوجها لما ان همهم بشأن دي ناريل وكلمة حيث وجد
كلاما . بشرط ان يخبر دندلولو بكل ما يشانهان يو . وان ثقة على الوساطة
التي تستخدمها لردعه عن متابعة اخيها . الا ان جاء اورور كان يحرمها من
قبيل الحروب ورجها المصاعب التي تحول دون نجاحها من ارمان

فلما انتهت اورور دخلت مله دندلولو طيها تبذل اليها ان تبق الى
تدنها وتنظر في امرها الصبي وفي صاعته لا تنطق بلسان شفه الى ان اعيها

الاستعطاف والتضرع فاجابت

— قد عزمت على السكوت التام عن شأني مع هذا الرجل العجيب الذي طلب^(١) لي وطلب قلبي فلا تمألني عن شيء من هذا القيل والخليل معي اللبقة المعتاد عليها بين الناس . الهيا^(٢) هذا الحديث . . أي ساعة يجب ان استمد لربة الليلة فقد نبتت ان دوخ قهقهة و كل اشارتها يجمعون على الفتاة غراند ليضروا ميارة^(٣) الزطرق . فارتد ان اباهي بجالي كل التبعيمات . على ان المركزة برمكا يثبت تالي اذا كا نذهب معاً الى الزينة فما فكرت

— فكرت فكري وما يحبك يعجبني

— المتزوج جميل لم لا تذهب فتصنع باكرام الناس ومشاهدة المهاراة فعتلت التمة على حضور الزينة حتى اذا حان وقتها نزلت امرأتها واخفاها بهي البرود^(٤) واجمع الصفود . وفيها على الطريق قايلا المركزة برمكا ففتحت بامرأتها

— قد نمت ما حدث البارح عندكم امامي من هم اوزور وذا ماهاما العنبرية وما ذلك الشاب الذي هامت به الاساهر مفر يري اشكالا جميلة وصوراً بديمة حتى تعلق به القلوب فيقطع وصلها قطعة قاسية تملأ حياة المفرم بمرارة وعذاباً

ولعل هذا الكلام الذي حاولت ان تعني به قلب مدام دنقولو على ارمان كان اسماً للنسبة في نفس المركزة لما عهد بها من النحول والنعاس فانغمت الكوفة اجابة لها وسار الجميع الى المشهد ضاربات صفحا عن قصة ارمان

وبعد قليل من وصولهن اشار الدوچ بايذاء المهاراة . فاندفعت الزطرق كالسهام تخترق عباب الماء مزدانة بما يحظب الابصار ويحظب

الافكار . واذا ارمان بمنفعتهم في حلة نولي ارجوانية يظهر ما عنده من
 المراس^(١) والرشاقة ملتفتا الى الجماعه الثمانية ملك مظفر اقبل عليهم وما
 رفع كفته للسلام على امرات حتى خطف اسرع من البرق
 وبقي الناس يصقون له استحضانا وامرانت محبة وحرية على
 احبها حتى عاد وقد شرفه النوح بجائزة الاقدام والقلبة والى جانب كونت
 يدعي كرنوفا فمر بامرانت وحياها بالاشارة
 — بارهاه كيف يظهر في فينسيا مع رجل منهم مجرم كثيرة يخشى
 طوبى من عتاب قريب

اما اورور فبقيت صامته تنظر اليه بنقته والمركزة محدة و تعجب من
 براعته وجمالوه وهو جالس جلسة مستترتق الزهور وتناكر الوداد على
 اقدامه فلا يلتفت اليها ولا يهم الا بالعين التي لم تقع على حبه والقلب الذي
 ما شعر له في تلك الساعة ساعة النور والفرف بفور حبه صاف لا امل وروا
 وعند انتهاء المشهد اسرعت المركزة الى دارها مفتك امرها مرتك
 صدرها وانفرت في عندها وقد اعلمت الى صدقها بعدم الذهاب
 الى صانت مارك النهر . وما لبثت ان دعت الجوز من خدما واطلعت بها
 قليلا ثم خرجت الجوز من باب سرى فحاش ان لا يجعها احد وسارت في
 زورق الى حيث سارت

وبقيت المركزة تنظرها على نار من فروغ الصبر الى ان عادت
 بعد ساعة

— ارايو

— نعم ياسيدتي

— والجواب

— يتظرك ماركوساتي الساعة الثامنة مع الشخص المعهود

— اذن تبصني
 — الامر اترك باسئلي
 — فاحضري لي برقي الناعم وحلي البهية لاني اريد اليوم ان اكون
 جميلة جميلة
 — اذكر واسفاه كم يهر الشابات ان تمثل بهيات طليبات في اعين
 الناظرين فمساعد لك ما تشي

(١)

وكان ماركو ماتي رجلاً اسود الحاجبين يراق العينين معتكف
 آلاف كنفاد السروقيق الشفاء كالغلب مما يدل على الاقتدار والخصاع
 فافس مهالة من نحو كل الامور فتارة آله لسان حكومتهم وطورا
 شريفة لعقد الوصال بين متحابين واحباتا جلانا يقيم لاصحاب الثروات^(١)
 بدمار تدفع له على مقدار المصاعب التي تحول دون نيل المطلوب منه حتى
 اكسب اموالاً لا تنحى وايضا له قصراً على مهر البريتا يستريح فيه باثني
 عمره من صنائعه « الشريعة »

وكان في تلك الليلة يحضر مائدة مزخرفة باوائل من الزجاج مختلفة
 الاشكال والالوان لاخلاف الاشربة المودعة فيها وصور التنبؤ المعطاة
 لها. وهذا هو سبب ترتيب الاواني وتحسين الهيئة اقبل عليه شيخ ايضا اللحية
 طويل القامة شديد البأس يامرهم ففاتحه بالكلام

— اريد قتل امرأة

— مرحباً بك

— امرأة منبهة شريفة

— دعها اني

١ جمع ترة وهي النار

- اتغيرها عند مواعيد القتال وتغير امرها بين الناس
- اذ اردت ان تظهر لاني فارتكبة انت بنفسك
- معاذ الله ان اسلك دم انسان عاجز عن الحماية . فكم لمن الدم
- اللين بحسب قدر الانسان والمصاعب التي تمنع من الوصول اليه
- اتركتم اسما
- اذ كنت تعرفني بغير الكتمان فلم تاتي الي
- اذن اريد ان تحولي من الارض المركزة برصك لاني ابغضها من

كل شيء

- كيف اقبلها وهي حبيتي
- وهل تمنع حمايتك
- نعم تدفع عنها كل خطر وتقتل دونها كل مخبر
- اذن لا يقتل احد عليها
- الا انت بما يظهر لي من حثك عليها . واظن انك افضل لك ان
- تنقم يدك وتشتي غلة كيدك . وحقا لك على اعداءها اخبرك انها ما قليل
- ستاتي الي هنا لمقابلة طاشق لما قد سألني احضاره
- الا يتيسر لي ان اكون منها بحيث اسمع ولا اسمع وارى ولا ارى
- يا حبيبا لو امكن غير انها قد استأجرت مني الدار كلها بشرط ان
- لا ادخل فيها احدا شريفا
- واذا دعت لك ضعني الاجرة
- وقمت صفقة البائع فلا طاقة لي في استرجاعها
- كم طلبت لهذه الليلة
- ثمانين فرنكا
- اعطيك مئتين فما قولك
- تطلب المستحيل

— قد زدتني تكرةً لك باقامتك على عهدك
 — يوجعني ضميري لو جريت على خلاف
 ثم تناول مشعلًا ولدى الشبح البيت بكل خفاياه وزواياه . حتى اوصله
 الى الباب

— والان يا صدي قد حان الوقت فعليك السلام . واذا احجبت فيا
 بعد الى خدمة فاذا كرني

ولم يفي الا بضعة دقائق حتى انت المركبة مبرقة ومجلاة باهى الخيل .
 واقبلت الى امرأة تنظف ثيابها ويمسح شعرها . ثم اخلت تنظف في فتاة
 النار اذ فتح الباب ودخل ارمان بهيمته الجميلة مرتدًا بمخمل أصود على غير
 ربي العصر طلع عباءة زرقاوين من لون السماء تحت اهداب من سودا الليل
 فلما رآها ضحك استهزاء وسلم سلام ماخر فقالت له

— أ أنت حرّ

— حرّ الليلة نعم

— ما فهمت فكري اسألك اذا كنت غير مشغوف بامرأة وقادرًا
 على فتح قلبك لغانية ففتح لك قلبها

— مالك وهذا الكلام لم فتعنى ورقص وزهر

— ارمان انت تعرفني

— اعن كذا

— من انا

انصبت انك استدعيتني الى هنا

— قد عشتني في الماضي واصل العلاقة بيننا قدح شراب

— اعرفك حتى المعرفة وانتم

ننتم لمعرفة امرأة ما نسيتك قط . امرأة لا يعي حبك من قلبها

— مني احببتني وكيف تجسرين بعد خديعتي على الوقوف امامي

— احبك من كل قلبي
فأف ضاحكا ولم يجب
— تفحك من قلبي بك وتذكرني خديتي كما ذكرتني امام منام
فتسولني

— لا اشك الي صدقت
— صدقت ولكك جرحني بحضرة خصمني التي تريد ان تسلبك
من يدي .

— تفحك أكثر من قبل
— فبعدك يا ارمان قد قطعت املِي فِيمَ ابرهن لك عن اخلاصي
انظر انا دموعي وخفان قلبي واحدق بصرك في نفسي
— ماذا تريد ان ارى في نفسك كفاني الشيطان الذي رايت فيها
وليس لي قابلية للإحاطة
— رحمة يا ارمان لو قدر لي ما قاسيت بعد فقدي ذلك الكثر الا
ترده علي

— يا اللهب ما سبب هذا الغرام
— هذا الغرام فيك لانك فريد بالحميم واللباقة والقوة . لانك
ظهرت اجمل واشرف بني زمانك . لان لحظك كان اس لحظ غاز مصور
او ملاك مكمل بالنور وفي الجملة عشتك وانا عاشقتك " ما دام في جسدي
شيء من الرقى "

— اني واخوتي فليس ما ذكرت سبب حبك الي
— ان

— سببه انك بقيت تحسني على شاكلك . انك فاعلة قوية في كل
اعمالك اذ لا تنزعك الاثام واكثر من ذلك انك غيرة . عطيت ان قلبي
ملك غورك وتحاولين جذبه اليك من كل قواك الغيرة وبكل ذرائعك

المستفجة . فخلاصة القول انك عبدة آتية ^(١) وما اريد الا عبيداً خضوعاً

لاني كما قلت ملك القلوب واني الملك مما حدث

— مدام تدولوليست عبدة لك

— لا تلفظي اسم مدام تدولوا حرمة عليك . انه لعنة بملك

— اذن عيها كثيراً

— حبالاً يشبه بشيء

— أكثر مما هو في سالتنا

— ابرجد وجه للتشبه ابن الثريا من الثرى وآلى لك ان تصبي

غراماً لا يبعد عن العباد

فتمكت بصراً وبكت

— قد اوسعتي ذماً وإهانة وجرحتي قلبي واسلمت دموعي فصبرت

وصمت ولا زال انتظر كلمة منك لضاد جراحي وتشفيت دموعي . انظر

الي يا ارمان أنا الان تلك المرأة الكفاة التي سلحتك بتجبر لتفني مرام

غورك . قد غورني حبك

وجئت امامه على ركبتيها وهو متصب كفتيب الخيزران واني

المبال ^(٢)

— اسمي بانيور بنا الي عرفك الان كما يجب . قد يمكن ان لا تحدهني

وانك طائفة لي . وانا اقبل وذاك وانيك مطروحة على اقدامي متحننا

عليك ببعض قل ومضطرباً حاك لما شئت . فهل ترضين

— ه دلالاً فانت اهل لذلك وتحكم فالحسن قد اعطاك

واقض في ذا النوا ايماناً قاضي فعلي الجمال قد ولا كا

وحملت ما اردت من الامعان والمز . اصبر على مصيبي واثبت لك انني

لا اقبل الي منك

وروقت عن الوطآن^(١) اذ لم يعضها ارمان بأكية مفسرة لا عزاء
للبها ولا امل وراء حبها من معشوق غير عاشق لما يزدري بها ولا يذيقها
حلاوة كلام ولا يربها وجه اجسام. فبما من مصابة بداء لا طبيب له .
غور العشق قلبها وجعل من تلك القاسية الرديئة الخائنة صديقة لينة جيدة

— بالطول شقائي ان لم ترحم قبيلتك يا ارمان

طلى ان ارمان بما منحه الله من الحسن في خلقه والطف في خلقه ورغد
الحشة وسعة العقلب والنعم لم يعمل الا باهماء نفسه اذ لم يبدل دابل على
الحق قبل فوات الوقت لذلك . فشئت فيه مخالف العشق وحملت كل
اماله واغفاره الى حيث كان الحب من قلبه . فلما رأى فيورينا على قدميه لم
يمتطع ان يستزدها ذلة وكآبة فاعطى لها بعض الميل وهو لا يحسب ان
امراة كالمركزة تقبل ميله اليها حقا لما طيه وتكون العاقبة وخيمة فقال

— يظهر لي يا فيورينا انما بالكسر لا تعطي المقام مقتضاه من المسرة .
هذه المائدة معدة والخمور تملأ في الاراني كالعقيق . فلننس الماضي
والمستقبل ولننعم بالحال . لماذا نصبح رقت الطرب بالويل والحرب . قد
صح الرمان لنا بمساعات هجيرة فلم لا نتنهرها لنفرج الكروب ونفرج القلوب .
هلم الى المائدة فتاكل ونشرب وفيما نعد نعود الى الزاد

فمزت فيورينا راسها للدعوت ولم ياتم وعد . لوعة قلبها المحرقة ولا
روى قطرها الظان

— لا يهتاني يا ارمان ولن يهتاني اندا فما اشتالي واسوء نجمي
— من قال لك انني لا احبك الان اشد المحبة . فاكفني غيوم الكتابة
عن وجهك الواضح يا بهي يا بهي آء عن ثغرك الوردية يا مكبي لي من
الكوشر ليجلي صدري انك الآن اجمل مما كنت في ما يولي وقد اسكرني
حسنك البارح . خل عنك وخز الضمير وعود به الى زهوك الاول

فالعود احمد

وللحال اشرفت سماء حبها باجمع النجوم والمها وودعت نفسها بسعادة
لا تقتر وجماً منها انها استرجعت قلبه اليها . ولكنها ما سمعت هذه الكلمات
الرفيعة الا اظهر لها التأمل ما وراءها من الخلاء « فتم الفصون ولكن بقسا
الشعر » فعاودت ارمان لامتنانو

— مسكنة انا لا عمولي ولن عمولي ابناً

وما اطاع صوت الخداع مرة ثانية لا جابها فصيت ههبة ثم قبل بينها
نمرة لما على مقابلة انساها بالجنأ .

— فلما فعلت . لا اسحق عندك الا قبله حمة يا ارمان واي حمة

وقد صدقت بقولها « واي حمة » لان القاب طردتها من فردوس
قلبه منذ يوم نابولي واقام الجنأ . جندياً على بابها من العود اليه . ولكنه
رأفة عليها فحور مجرى الحديث رجأ . ان يخليها
— الا نذهب الليلة الى سانت مارك

— اليس لتراها

— نعم لا رايها فما مفاد سؤالك

— ما مفاد سؤالي

واندفعت طيو كالليثة الكاسرة وضغطت ذراعه بكل قوّمها

— على اي اقلها وانها اكثر ما اتعذب واضيق قلبها كما تعيق قلبي

فرجع ارمان الى ابتسامه وقال بصوت ساخر

— ما أليقك لتخفيص الروايات على الملاعب

— تفصك مني كانك لا تحشائي وتعلم مع ذلك على اي شيء ماقدروا من

انا فلا تطل معالجتي بما يمرر النفس

— انعرفون ياغورينا الكونت كزوفنا

فاغناظت المركيزة لهذا السؤال الذي كان يعني ان ارمان ما خشي

من الظاهر مع كزوفنا في قيتيميا فكيف يهرب امرأة ضعيفة وأجابت
بكل حدة

- اعرف ان كزوفنا هو الرجل الذي يحب عليك ان تحبده أكثر من
كل الناس وعما قليل ستقبض عليه الحكومة فويل لك اذا ساك في
جملة اتباعه

- ما شأن الجمهورية وإياي وأنا غريب وفوق منالها
- كل من في حكم الجمهورية من غرباء ووطنيين سوا - في عينيها
- مثلي يجل عن أن يكثر لمولاً الجياديس اللثام
- احذرك تحذير صدقة ناصحة « اياك ان تبلي رجلك بالزلق »
لتلا تمسقط في وهدة لا مناص منها

وفي الساعة نفسها فرغ الباب فرقة قاسية ازعجهم ففتحه دسبه تاريل
والا يماركو اصر الوجه مرتجف اليدين التفت الى المركزة
- عنوك ياسيدي لم اخبر شيئاً ولكن... ولكن... ليس ذنبي
- ماذا تريد ايها الرجم اطلب نفسي. قد تنك اياها من زمان
طويل ولآن لم تدفع لي ثمنها
- انا لصعب علي ان اصمر لك ياسيدي... غالباً ستظنين ان لي
بناً في المسئلة

فقال ارمان

- ما امرك باشيخ قد افرغت صوري
- يوجد هنا اناس طالبيون لك
- كيف يعرفون اسمي وأني عندك
- ان هؤلاء لا يحقنهم شيء
- أذهب لمقابلتهم
- بل يودون الدخول الى هنا. في هذه الغرفة

— يالم من زوار لا يفهم امرهم . لا يدخل احد منهم
 — لا يعني الا ادخالهم ياسيدي
 — ما شأنهم ولاني ام لصوص قذلة . لمست مسلحا ولكن سمائي لا تضيق
 همة . أدهم الى هنا وتبرقي يا فيرونا
 — فطاعت المركيزة وما الت بصرها على الداخلين حتى صرخت من
 الرعب ودفعت ارمان الى جانب الغرفة الآخر

— ماذا جرى

فهمت في الله

— الجواسيس فاباك قلة النقلة وسرعة المحنة والا هلكت
 ودخل الجواسيس متبرعين فتقدم واحد منهم وثلا
 « باسم جلالة النوح وقوة الجمهورية اوقفك يا ارمان دي فاريل
 فاني على النور »

— قد داهمتوني ايها المادة بزارة ارفضها . اني فرماوي ومعني
 جيلاز من بلادي مصادق عليو من سفارتنا هنا يثبت انني متغرب فلا حق
 لكم بالقبض علي ولا ارفض بذلك من طيبة نفس
 — دع مقاومة لا تدفع عنك الحكم والا الجأنا الى استعمال القوة
 لقهادتك وليس ذلك من طاعتنا فملم بنا

ومعنت المركيزة كلام الخصمين وهي لا تبدي حراكا ثم اعترضت
 بينها كاتبا مستعدة لاتمام قصد جليل ورفضت برفعها بهيئة او حاما اليها
 الحب وسألت رئيس الجواسيس اذا كان يعرفها

— بلا شك ياسيدي

ورفع كفة قليلا إكراما لما

— اجيب عن الاسير امام المجلس

— لتعلم السيد اني موصي كل الوصاية ان لا استأمن لما

— فعضت على شفتيها حتى ادمتها من العجل لظهور مكابدها

— اذن ليس في وسعك ان تطعني

— لا ياسيدي ليس الليلة

— فسوقوتها الى احد ابارك وتطرحونه فيو لموت خيلاً . هذا محتمل

أذهب الى مجلس العشرة وابذل مجهودي لانتال تحريره . أبيع نفسي الف مرة لاجلو . فبأله لا تخذلني

واشار الشريف^(١) الى ماركو ساشي فضبط المركزة من وراءها والتفتت الى خلف فالتفتوا على ارمان وجعلوا يدفعونه نحو المشى وهو اعزل لاسلح معه يذب^(٢) عن نفسه كالاسد ويترق جميعهم بقدره عجيبة والمركزة من وراءه . متحدة لشجته . خلص نفسك منهم يا ارمان وعندي ثريمة للحياتنا من هذه المدينة فلا تعود اليها—

حتى اذا عجزوا عنه استعملوا عليه الحيلة بان احناطوا بالحبال من كل جانب وطرحوه في الارض مرتبط باليد من معتقل الارجل وما استطاعوا ان يقدروا الا حملوا الى مقصدهم . ولما ساروا يوهت المركزة لتبعها فهدأها ماركو

— اذا تبعوه هلكنا جميعاً فاحفظي نفسك لتحرره بالوسائط

— اعرف من يساعدني وفيما بعد يعلم من بحجة أكثر

والحال سلبت برقصها وتوارت في منحرجات البيت ثم خرجت من الطرف المخرف على الماء وركبت زورقاً كان ينتظرها الى اليازنا كالبرق

واذ ذاك دخل الشيخ الذي ذكرناه من الباب الآخر على ساشي

— ان يترك ايها الخائن الخداع مكبس جميل لمن يستأجره وطني ان الشرط يدفعون لك راتباً لجمع محاييهم عندك

— هذه صنعتي احسن القيام بها وليس ذنبي اذا فعلت اعين حسنا
عندي فعل الشتم في المصيدة على النار
— كفى كفى والسلام

(١١)

كانت حكومة فينيميه بايدي الاشراف يتصرفون فيها ملء التصرف
بما خرج مراراً عن الانصاف ونجاوز الى حد استعباد الرعايا اشد الاستعباد
فتم الدوج وهو رئيس انتخابي تخضع له كل فينيميه وتعرف حاكمها . ثم مجلس
العشرة وهو مساعد الدوج في اعماله ومديره وهاديه الى سماء السياسة .^(١)
ومنهم الطوائف يوم ثلاثة قضائين منتخب مجلس العشرة او لم والاول مختار
الثاني والثاني ينتهي الثالث بحيث لا يعرف كل منهم الا واحداً من زملائه^(٢)
وجميعهم ما لكون لا يرد الامر حاز ولا يرتفع عليها امير حكا لدوج او
شريف او غني . ولا عليهم مسئولية يمين عنها الى احد . وانما اتفق ان
تعارف من الاصوات او الاشارات لم يجر احد على اظهار شيء مطلقاً .
وكانوا يفتشون بالتدقيق الشكايات الواردة لم ويجوزون على الفرما .
بالملاك او التبرية كما يد ولم في قصر قدم العهد معين البناء كله حنايا
وزوايا ومتعلقات وتحت الاربار المشهورة والمضائق والمحوس التي جمعت
فاوعت كل انواع العذابات ما اختلفت الانسان لقتل الانسان في عصر
ذاك . عصر البربرية والدلة والرق . فلا تمل عن رعب اهل فينيميه من
اولئك الطوائف الثلاثوكم من اسرة خطف ذكرهم البهجة من قلبها والقاهها
في بحر الفجر والخوف

ولكن هذا الحكم الظالم جعل من فينيميه بلاداً مخصصة مرهوبة فتعترق
سفنها البحار وتعمل بأرائها السياسية كبريات الدول . اما الدوج الذي

تتكلم عنه فمع ضعفه وركا كونه في تدبير الامور وتوسيع الاحوال لم يتقد
كرم الاخلاق والدين من اصطناع المعروف واغاثة كل ملهوف
وبعد قليل من حادثة ارمان يتقدم دكتورو فطر في قهوة غلوريان
وبعدها يد السوج اذ استلقتها امرأة بكاد الم بطور يعقلها واهملت اليها
بلحاجة ان تصح لما كلمت على حدة فلبثت

— قد قبض الطوايف على ارمان بانه نشيع^(١) للكونت كرونوفا في ثوروتو
على الجمهورية فاسري الى معونه وخلصه بالله

واختفت المرأة بين القوم دون ان تعرف فاحسبت امرانت بضربة
قوية في قلبها

— لعل اقدار الاله بدني هذه الخيانة . اللهم اهدني عن هذا الفكر
السعي المنزع

واصبرت اشد الاصفرار ثم اتكأت على كتف الدروج مبهوكة مبهمة
— اعطني يا سيدي ان شئت . اظن ان الموت قد دنا مني

فخرجن الدروج لاخلص مودو للكونتة وجرها الى اقرب كرسي منها
واجلسها بمحلة الهمه تلوح على وجهها دلائل احزان مبهمة فصرخ بالالفاظ
— لا تسمع صوتاً يا سيدي ينبغي لي ان اكلم جلالتك بامر دونه الخيانة

او الموت فتنازل واجلس قريبا مني ثم عذني انك تخفي كل ما اسألك
— تعلم الكونتة انني امر بطاعتها

— سجد اني القبيض على شاب فرنساوي انا مشغولة به ووضع في
الحبس

— اخبر المفور الفرنسي ليطلبه من الحكومة . لانا اوقض
— ما أدري . هو الرجل الذي اعطته جلالتك جائزة الاتصاري في

سأرة الروليك

- ماذا . . . أهو الشاب الذي عجبته اليوم برشاقتو وقدرتو . ما ذنبه
— قد امسكه بعض الشرط باسم الطواف
فتطلب وجه الدوج
— انا كانت المسئلة بيد الطواف فالامر غيّر ما ظننت وليس
لي طاقة بشي . عليهم ايها الكومة العزيزة
— كيف . . . أأست المحاكم بامرك الا يمكنك ان تكلمهم وتأمروهم
— ما اعرف منهم الا واحدا . ولعلّ زوجك اقدم فهو اقدر علي
— زوجي . . . معاذ الله . . . ولا لاخبرني
— انه لا يجررك بسبب الآباء التي يجلها والخطر الذي يهدده ان
اخبر بقدرتو اياها كان من الناس
— ولكن الا طاقة لجلالتك بشي لتخلص هذا المسكين
— امك عتمين يو كثيرا
— فوق الوصف
— كيف ذلك
— لانه وطني وفضلا عن ذلك صديق لي
— ان صاحب امرأة حسنة . يخشى عليه من القول الى غير شيء
— المست تدم يا سيدي
— عنوك يا سيدي لا اتكلم عنك لان فضيلتك تعتبر الارض حوالك
اما امزح
— لا وجوب للزح لكن افكر بالحيس المعذب
— ما اسمة
— ارمان دي ناريل . كان احد حرس الملك في فرنسا وانصرف من
رنيته لاسباب ثم نفى الى الهند على غير ذنب فقتل له منصب سامر لم يرخص
يو ولم يلبث ان هرب فاقى الى هنا

— قد فهمت ما ذكرت —

والفتت إلى الوراء فلما رجلاً من حاشيته وأمره ان يتنصت عن المسير
غرندي (وهي وزارت من ام الوزارات كانت تصور عليها كل احوال غرندي
وصاحبها لا يلقب الا بها . يطوف المدينة في كل اطرافها من الصباح الى
المساء ويوزع الاوامر والاخبارات ويجمع حكل الشكايات ويرى كل
المجرمين ولا يسع نعمه الا بكل احتفاظ فكانه رجل من حجر) ولما تولى
الرسول جاءته الى البارزات فاجابها الدوج مواجهة سرية ثم مضى وقال الدوج
— عليك بالصرايها الكوتة وعما قليل نطلع على احوال حبيك
ولم ينتظرا الا قليلاً حتى عاد المسير غراند واجاب الدوج على ما
ارسله لاجلو فصرخ صرخة جوية

— احان لم —

— نعم ياسيدي والذي اشتكى عليو من الطواف طلب الليلة جلسة
غير عادية للاسراع بالحكم عليو ولأن لم يعلم بما وقع القضاء آي اعدام او ام حبه
ثم همس الدوج في اذني شيكا جديداً فلبث في مكانه وعاد الدوج
فاخبر الكوتة بما سمع أن ارمان على وشك ان يمضي عليو في الليلة نفسها
— ما المحلة ياسيدي ما المحلة

وتعلمت من الخشبة عليو

— لا تعلمون ايها المجرمين ان الطواف الداء للناس ولا بدعون
فرصة تفر من ايديهم . اخاف ان لا تنفع اهتماماتي اذ لا سلطة لي في ذلك
— ياسيدي الا يمكنني ان اراه

— ان تراه

— أذهب مع المسير غرندي باذن منك لعلي اعرف شيكا عنه

— ترجون المستحيل كيف اقدم سلطتي بسلطة الطواف . يا حينا

لوا قدر

— وطلوب يجب ان ارى انتريا على الفور فعليك السلام ياسيدي .
اشكرك على ما صنعت لاجلي . رد الله احسانك عليّ باحسانك عليك .
ووقفت فملت على الدوج واخترفت القوم بسرعة عظيمة تنقب^(١)
عن زوجها في كل مكان
فقال الدوج

— اتبها ياسور غردي . قد فقتت رشدنا . ما عساها فعل
بالمجنون النساء

— هذا المجنون الفرنسي ياسيدي
وسى في اثرها . اما في فجهتت نفسها بالفتيش على غير فائدة اذ لم
تجد زوجها او اخوها ولا رأت برقاً يشبه برقها ولم يجبها احد من سالت
اثرآما او عرف مكانها

— قد رجعا بلا شك الى القصر
فامرعت الى الهازنا وركبت زورقها آمرة ان تقاد الى بيتها بارشقي
من الطويران خافقة ان لا تصل اليه . حتى بلغت القصر فصعدت راکة
وسألت عن اورورو عن الكونت فاجبت ان زوجها ادخل مداموازل
دي سانت مام ثم ركب زورقاً وسار وحده تحت القناع مغوراً كل ثياب
الى حيث سار

فقطعت في قلبها تلك الجمرة التي اقاما الدوج في نفسها حيث قال
ان زوجها احد الطواف وصرخت — يا الله اوج لب الصبر الجميل يا امي
رحمك الله طيني ماذا اعمل اكون دنسوا احد اولئك الظالمين المتقون
امو الذي اشتكى طلوب ليمخلص منه ويقاصه بالملاك من اجل حب بلاامل .
كيف وعظني في الصباح بشقة كاملة في وعضو شامل عن ارمان وآلان
امسكه ليقنله اسرا وسيفظني كنباً وحسراً بالمصيبة — وبعد هذه الافكار

لبثت تنظر امرأتك انتظاراً. اذا حاولت ان تفصل لم يصل الكلام من قلبها
 الخافق الى لسانها المرتبط حصرة وحزنًا واذا طلبت السمكة. والتمرية
 سمعت اصواتًا صادرة في المجموع من كل اطراف الاقنية فثاقفون بنادي
 بعضهم بعضًا خوف اصتدام الزوارق. واخبران صفاً. يضربون على الآلات
 وينشدون اطرب النغمات باطرب الاصوات وفي خلال ذلك هذر وتهمنة
 وانواع مسرة تنقط كلها احدى من الخناجر على قلب المعذبة المنتظرة. حتى
 قرعت الساعة الثالثة بعد نصف الليل واذا بزورق اقبل نحو القصر وشخص
 من الزورق وصعد على الدرج صعود عجلة فقلت الكونت .

وبعد قليل فتح عليها الباب ودخلت المركزة برمسكا مضطربة خائفة
 - ماذا علمت يا حضرة الكونت

فنهبت امرأت ان منام برمسكا هي التي اخبرتها في الامس عن
 حبس ارمان واجابت

- قد علمت ما امتطعت

- وبهاية الامر

- ما اخبرني . شكوت الى النوج ورأيت المهر غرائني وكلاهما لم
 يستطيعا دفع المقدور ولا رد المقدور

- انن لنذهب الى قصر النوج وبراما

- الى قصر النوج

- ما عليك الا اتباعي لان اسمك وحضورك مجعاني من كل طارئ
 واذا عندي واسطة للدخول الى المحكمة

- انصرو

- نعم اخطر مجعاني ولا فضل لي بذلك من اجلو

- هلم بنا

- انت ثاجة العزبة ولا تخافين

فوقعت امرأت مخبورة في صعوبة طريقها خائفة من أن تذهب أن
يكتشفها أحد فتضع قيمتها في أعين الاشراف وتصبح نظراً لعموماً مثلاً
مشهوراً ولكنها ذكرت أيضاً أن عليها لاربان واجبات الام لابنها والاخت
لاخيها والصديقة لصديقتها فتخجبت وقالت
— هلم بنا ولنكن ارادة الله

(١٢)

وذهبت امرأت وفورينا مهتمتين بنجاة ارمان عطلتي الفرض
لاختلاف عواطفها وسيرتها فوصلنا الى اليازينا ومنها اتجهتا ذراعاً على
ذراع نحو قصر السج صامتين مشغولتين بافكار ومآل متباين^(١) بعضها
عن البعض تباين قلبها وحاشتها الى ان دخلتا فناء القصر وصعدتا
في درج ادى بها الى مبنى طويل . فقطعتاه واتجهتا الى درج آخر مظلم
يبلغ من فوق الى تسويات^(٢) الحاكم ومن تحت الى المضائق^(٣) طالمآم .
فسالت مدام دنولور فيقتها وما مبرقتان ام التبرقع
— الى اين تمضي من هنا

— الى حيث تقدر ان نسمع من اخبار ارمان وان يرى ارمان بنفسه
— هلم بنا
— اياك ان تشكلي الا انا دعوتك الى الكلام او تكشفني عن وجهك

بغير اشارة في

وصعدتا في الدرج تحت ظلة عميقة حتى وصلتا الى باب عن الجهة
اليمنى فقرعته المركزة ثلاث مرار بنوع سري وانتظرت هبة ثم اعادت
القرعة على الحني اخر . وبعد دقائق معينة رجع من الداخل صوت الباب
على الشككين المتكبرين . فقرعت على وزن جديد وقالت
— زانت وصالت

١ عطلت ٢ جمع تدرة وهي الختام

والحال فتح الباب كأنما أثرت به تلك الرقبة^(١) ودنا منها رجل اسود
اللباس فلجأ

— روميه وإتيأك

فقالت المركوزة برصكا

— نحن مرسلون

وأما طلت^(٢) برقصها تهرده بسرة ورفعت من يدها حياءً أرتة للحارس
فتحني ودخلنا وراءه

— ما ذنك... ما في الأمر

— يوجد حيس الليلة بحكم عالم

— من هو

فرجحت الكوتنة واجابت المركوزة بهمة وذكر يوك كان النباح والنور

— الأكبر...

— وفضلاً عن ذلك

— يجب ان يراه

— من المربيل

— هنا

وأشارت الى الحاتم

— احتظار

— صمودام نزول

— ف عرف حين مرّ

أما الكوتنة فبهت لا تكاد تنفص من صوي المكان ومن ذلك
السكوت الخاف والظلام المالك البهدين عن طمعة قبيها من المسرة
والملافي. ولا تصلق أطفالها العجيب كأنها حاملة. وزاد رعبها تلك الجدران

المسودة والكلام المقطع العربي ووجودها بين كل انواع الالام العظيمة .
 لكن الركيزة لاعتقادها على تلك الاماكن ما خشيته الا ان تعرف وطولها
 اشارت الى رفقتها فتبعها وجلست في زاوية الف قويداها في ايام دنارها .
 وذهب الحارس فجلس على كرسي في الطرف الاخر من الغرفة نفسها
 ولبط ما تبين في ذلك المكان المائل لا يسمون لاجل العازية من الاغاني
 والتمهية واصوات الآلات التي كان يدفعها الحزن الى تلك الماكن
 ويحبها على جنارها

وبعد ربع ساعة سمعت اصوات مشبه وقورة وموزونة تحت تلك
 القباب الزينة ثم مرت ثلاثة اشباح سوداء تنهني القامات واحدا واحدا امام
 باب القاعة ولم ينفط فهمت الركيزة في اذن امرانت
 - هؤلاء الطوائف الثلاثة

فاندفعت الكوتة الى الامام رغما عنها وكادت تعطف لول تمسك بها
 الركيزة . وفي اندفاعها اشممت رائحة الطر المتعاد على التضعع بزوجها
 وقارب ذلك ان يجتن ظنونها فهو

وبعد هنيهة اخوى الحارس على رجله وقال

- تقدما . هن قريظ بر الحيز من هنا فاما ان يصعد يوا الى
 المضائق او ان ينزل الى الآبار بجهت ما يحكم عليه

فوقتا تنتظران يكاد يسمع خفق قلبها حتى اقبل العيس مستترين
 ووراءهم رجلان واحد رفع الى المضائق والاخر ثوب مشية رشيقه وقدير ديني
 عرفة الركيزة والكوتة انزل الى الآبار فتفتحت فيور بانفس فرجها ملت
 لارمان بامكان الخلاص . وبعد هنيهة قال الحارس

اتبعاني اذا كنما على عجل

ففتت الركيزة امام امرانت ولم تخط خطوة الا ظهر المبر غراند
 فاقونها . وكالم الحارس قليلا ونقص الامرأتين بدقة ثم مال عنها قارئة

المركزة خاتنها وكفى ذلك للتخلص منه

وكانت تحت الارض كما نوهنا اقية مقطعة غرقاً مليمة جدرانها
بالحديد وفيها نوافذ للنور والحرارة . والاقية طبقتان طبق اطل وهو المدعى
بالمضائق لما فيه من الحر القاتل والظلام الرائع والخلد الخفيف الذي يقوى
بالاصوات الخفيفة ويوم ادنى حركة جسمه بعده . والطبق الثاني فيوميت
التيوب وهو بشر مطروح فيه القتلى والناثرون على الحكومة وفي الجيلة اصحاب
الذنوب الكثيرة الكبيرة . وسائر الآبار حوس لمن اذنب نسيمة على
الاشراف او المتبرين منهم وللدن لا يراد اعدائهم وجسمهم الابدي .

الى هناك سبق ارمان

وما زال الحارس يسعى امام المركزة وامرانت حتى قطعوا مشى طويلاً
مظلماً . وعند وصولهم الى اخر سجن اخرج الحارس مفتاحاً ونجح به الباب على
ارمان وهو يخطو طويلاً وعرضاً . مشتركاً^(١) كأنه يفكر بشيء او يكبر خطاب
فالتفت عند ذلك وقال

— ما بالكم ولأي آتفضل الراحة للانسان في مقرة تحت ظل
جمهورية قهتسيا

فلم يجيب العجبان بكلمة البتة بل لهت صامتاً تبعاً للمادة في ذلك المثل
وقال للمركزة

— لست بمقادر ان ابقي لكما مشعلي ونير النافذة بفتيكا عنه . الا اذا
احببنا الى كتابة وهذا غير جائز هنا . انتي اذهب الان وارجع بعد نصف
ساعة لاصحبك الى الخارج . اما ترين هنا الاجل كافياً
— نعم كافياً

ولم تجب باكثر من ذلك لأن الاضطراب اخذ منها كل ماخذ . فأطلق
الباب ورآهما . وتقدمت مدام دنسولونحو ارمان بثبات قلب وخفة قدم .

فدعش لشاهدنا على حين لا يحراً الا ان يقع موقع الحيو ولم يمالك
 عن اظهار ما اعتراه من الفرح
 - امرانت أنت انتي... وما الذي قادك الى ركوب الخطار كهذه
 - ما صنعت يا عزيزي وما الذي اوصلك الى هنا . كيف السيل
 لا تشالك من الامر

- اجعل ما صنعت ولا ادري ما قادني الى هنا . وقد نبذت الغلص
 الان وقصت بالامر عن الحرمة لانك تشاركني الاسر بامنية كهدي
 - ناشدك الله دع عنك مثل هذه الافكار وتعلق بما هو خير . قل
 لي ما الذي اوقعك في السجن واستجلب عليك غضب الطواف حتى حكمك
 عليك . وكانهم حكموا عليّ بطول الاسي والحزن

- قد جاربوا عليّ اعتداءً راعين اني وصديقي كزنفوا زعياً عصبه
 حملها الفساد فاضلت المحكمة مفرماً وتطوحت في الفروث رصت^(١)
 بالطواف الملاك . عصبه علت بالقاء الرزايا وبارام المكابد فقتلت
 اركان الراحة والسلام وكانت تقوض^(٢) عماد الحق لو لم يشاركها أولو
 السلطة بسلطانهم وبلغوا التقيض علينا . وانني لبريء من كل هذه التهم بعيد
 عن مثل هذه النيات . حوكننا ففضي علينا بالسجن الى ان تضي الحقيقة
 لديهم والظلمة لا يبار بها نور . دخل الله الطواف ما رايت قط وجوهاً اتج
 من وجوههم قد اتخذوا لما خونا قضيها عن الناظرين فلا يظلموا الا بصيص
 اعين اشبه بصيوت الذئاب الخناوية . وما دخلت القاعة ابدي احدم
 اثارات حيرة ودهشة فلزم المحادة مدة وقوفنا بحضرتهم ولم ينف بكلمة .
 فهذلت الجهد لا عرفوا لم يتمكن من ذلك... وما عليّ وانت باسطع
 ابصاري وغاية امالي قد ايسر الان تخفين عني الانتقال وتضعفين الاهوال
 فتفكري فتدرك نفسي بالرضى ولا تبغلي او طاموت فتبلا في الموى فانت الصبر

وعند ذلك اخذ بيدهما قهقهة فاقبلتهما واشارت الى الباب حيث بقيت
 المركزة تنفس الصعداء لا يدران بها
 - ارمان لست هنا انا وحدي
 - لعلك اصطحبت احدي خادما تترك
 - بل امرأتك انت بنفسها في الحاضر لتصل اليك فجاهدت خوفك عليك
 وانت لا تعرف فضلها ولا تقري جميل صنعها
 - اعلمها فيورثنا
 فاندفعت المركزة الى الامام وقالت
 - في نفسها . . اما كنت يا «ودود» تتظر قدومي
 - انني اتظرك انت دون رفيقتك لما عرفت بك من ثبات الجنان
 وما اظهرت لي من وثيق الهبة
 - بمشك دعنا يا ارمان لنحدثك بما يعود نفعك عليك من امر خلاصك
 ونفسي اغلاك . لستنا هنا للعارلة فلكل مقام مقال . شأنا النجاة فالنجاة
 - احب شيء الي الخلاص فالسهل الي وعلى اي حيلة نعمل
 - على حيلة تقتضي الثبات والشجاعة . ولا اكثر من طعنة خنجر .
 فارسلت امرانت
 - وبعد
 - علي الانعام فما يعنيك ذلك
 - اني بعني يا عزيزي امرانت فاستمعون بك
 فاجابت المركزة
 - دعها انني كنو
 - لا اخرج قبل ان اراها مرة ثانية
 وكان ارمان . ونار الاقدام تكشف^(١) في عيني . تكلم بصوت منخفض

لعله بما كان في فيعسيا من الدهاليز والخافي ما يحداه والاوائل الصوتية التي
تنقل الكلام الى بعد واثبة بدفائن الصدور فاشبه لاسرار الامور
فقال امرأت

— عند خروجك يا ارمان تجد زورقا في اعطارك مؤهبا بما تحتاج
الو من الدراهم لوزم المعيشة فنقلع الى اميركا بلاهل وانما هناك تجد الراحة
— اضفت على الآية (١) بالنفي بعد الاسر

— لهد قريب . فدعني اعمل الان ولا تمنعني الا برهة من الزمان
حتى استدعك الى فرساي لا الى فيعسيا وهناك اقيم لك شغفا اقويا تعبد
طيم فيعدونك بالمال وتقوم بالمهام التي دعيت اليها

— لاشي يعني ما تذكرين من عنايتيما احتاج اليها ووصاية لا اطلق
مستقبلي طيها . انما عندك الحنظل والعسل ووعد منك . ينفع لي باب الامل
بحسن المستقبل . فكيف تكلميني بغير مرامي وتطرحيني في اقصى المرامي (٢)
طلبنا الثنائي فابعدت قلبنا طلبنا النوى يامن تقابل بالصدر
— لا اكلمك يا ارمان الا عن وداع ابدي وعندي ان تصافرا بلا

او هام ولا غرور

فقاطعتها المركزة

— اخذعه يا امرأت الاترين انه والحالة هذه لا يخرج من مضيقه .
قد شعرت بذلك انا القتيلا بلا اثم ولا حرج لاني جرحته القلب مثله . . .
انك لطالما

— ضاق صدري وضاع صبري فيا الحيرة وبالهول المنام
وكانت الكوفة من السماء اللاطي ينفوت طويلا على الاحزان
والفدائد . فاننا طمع الانا . وزاد الحال اشتدادا سفطن معيها خاويات
القوى واستسلمن بغير دفاع ولا معارضة . وقد تمكن حب ارمان من قلبها حتى

اسمى غلة^(١) لا تظن بل علة لا تقني ولو استطلعت لمدرت دعها لا تقلا
من مهبها . طي انها حسبت وفي جاهلة ان تقطع امله في تلك الساعة
الاخيرة فتتال ما توقع من النجاة . ان لعمرى في الزمان اوقانا بفعل بها
القدر في الانسان بما في طباعه عكسه

واصعب شيء يحلب الملم والاسم تكلف شيء في طماعك ضده
هناك يد الحكمة وما في ذرع المرء الا الطاعة

— ظننت يا امرأتك انك تأتي بالفرج والمز فكتبت هذا المذهب
بجاني . ليتك ماجدت علي هذه الزيارة وليتني قادر فاسلو حمار
— خل عنك حي يا ارمان لا تمل لي انما ذلك خير لك وافضل .
اريد منك اجمعا فلم انت تبغني قولي

وعند ذلك فتح الباب وبان لم رجل مبرقع بعمية الحارس فاستدرد
الاصرار على الامر ابن ووقع الرصد في قلبه يا اما ارمان فابتعد يا
غير مكثرت . فقال الحارس

— قد اتقضى الاجل المصروف . يا صبيتي السما على امة المخرج
— مهلاً يريد الاطالة

— ليس ذلك بمستطاع

— قد اريتك الاطامر فلا تتباد الى غور ما يهتك

— انني حامل الامر جديدة ترك مالاً بيده . فاقطعي اني اظنك
— اتبعك

فعند ذلك ارتعد الكمي كانه عرف رت مدام يريد كما وتقدم الى
الامام يريد اسما كها . فلاح له بالية الكريمة تبيع من طارئة خدار .
رفيقها فرجع الى الوراء . لمعهوراً متعباً . لم يدر حراكاً . رعد مروداً
لمحت طرف ثوبه فصرخ . صرختاً ارتجعت الالهة العجب وودعت على

الارض منشأ عليها .

تقدم الغريب يتفهمها وإذا بارمان قد اقض طليو باصرع من
حسو^(١) الطير ودفعه الى الوراء .

— لا تمس هذه الامراة او تموت

فلم يجبه الكهي ومد يده فاغلق الباب . وبقيت المركيزة خارجا تنكر
باعتاء يجري لها . فتمها في عقلها لما همز احتضاره في مثل تلك الحالة . ان
تنقاد للمارس فتدعي حرة قادرة ان تعمل ما يروق لها لخلاص ارمان وعليو
تبعته وهي لا تجسر على مكانته لعمالة تلك المحكومة حكومة شر وسمو
حكومة طغاة بفاة

(١٢)

وكان من بقي في السجن باضطراب عظيم وقلق لا مزيد طليو تاخذهم
افكار هائلة و للال شاطه يريدون انتهارها فلا تنفرو ويغضون ايضا
تصورهم فلا احد يتدي . الى ان تصدعت السراير من الكتمان فانكفاه^(٢)
ارمان بكلمات اسعدت هرج صبره في مرج صدره

— ايها السيد كنت من كنت دع عنك الخداع والغرور واقترب
هو خير لك واشرف . است من الذنن يرتصون بالبعثة وهم حاملون افعال
الاهانات ومكبون باغلال الدل والتماسة انني افلق الضرا ان لم اجد لي
منفذاً وخلاصاً . قل لي على الفور ما تريد مني والا اخذت انفسك .
وعلى كل حال لا تنال مني جواراً على سوال حتى تحظى سبيل هذه الامراة
فان المداغة عن شرطها منوطه لي . ركبت مخاطر جسيمة امل انقاذي فانا
الان اجد نفسي دون شرها وعرضها . كل هذه الامراة الخفية والمحمل
السنة الدية والمخاوف الدائمة تعجز عن ان ترزعني انني فرماوي وما
ادراك ما نحن

نحنُ الاسود بني الاسود سلافة من خير آباء وخير جود
 نسعى الى الشرف الموثل دائماً كل بقليل كالحديد شديد
 نلتقي المخاطر بقلوب اشد من قلوب الاسود ونخوض المعامع والاهول
 فنظفرونمود . فاقولوني او اعملوني « طمع الاناء » وكاد ان يصدده
 وكانت الكوة جامدة مكانها نسمع وقلبها غائص في فضاء طاب
 وضلالة مهلكة . يا لكى الغريب محقق بها يجمع بارتعاد كلام ارمان ووعيد
 له . وقد اضلته شان المرأة فكلم كيد وقال بصوت خفيف محرف
 — من هذه الامراة

— ما بهك ذلك

— اجبني باسمودي ناريل واعلم انك مع صديق
 فسقطت الكوة على الارض عند سماعها صوت الكي وفي قول —
 ما غلظت هنا هو —

— كذبت انني لا اعرف لي صديقاً في فيهميا واذا عرفت انكره .
 هذه مدينة طبع اهلها على المكر والخداع فهم يملكون جهنم لا يقاي غير
 ان شباكم ضحيفة يزعها الريح اذا صفر
 — قمأ بالله انني صديق انيت للجانك
 — للجان

— اذا تعني نصل بعد قليل الى ساحة مان' مارك نتناكد وقتنر
 صداقتي وصداقي

— انك همزاً مني كفاك مكرًا

— ايقن يا ارمان واعتصم بالامانة فهي اولى لك من سواها . فباتيتك
 الان بلباس تخفية تسهل لك طريق الفرار فاستامن لا خلاصي وانت سالم
 — ومن انت لا صدقك عندك قاطع برهان يثبت امانتك . او من
 الحق ان تكلفني وانت كمي . وما الذي يدلي انك لست هنا الا لقتراً امور

نفسى على وجهي فصرخ بها . ابعث ذلك من الشهامة والشرف ام تلك
أعمال غيلاء فتييسيا

فرجع الغريب للحال يده وكشف البرقع عن وجهه وإذا به الموصون
انتم يا دندولوا . فدهش ارمان عند مشاهدته دهشة عظيمة وطأطأ راسه
كمن اخذه المخمل طارق طيو^(١)

وعندها صعدت رفرة من الزاوية التي اتجهت اليها امرانت فلم يشبهه
الكونت وقال

— يا مسيودي ناريل قد وعدت اليوم مقبلاً بغيري امرأة اعز
الناس علي بان اظني من الغضا . والحسد ما كنت قد اضمرت ضدك
في فؤادي واعد عنيك الشك ولوساقتني اليها الظروف والاراهين فاخذت
على نفسي ان لا ارى منك الا صديقاً مخلصاً بل احبب علي اعانتها بقائه
من كل شدة ونهدت بان اقوم بالقسم ولا انتقض الوعد . وقد بلغت هذا
الصباح ان قد قبض عليك فعزمت على اخطر الوسائل واقربها من الغاية
لفن اغلاك . ومن ثم بفضحك لدهك ما نبي احاطر طاقني على الشرف
والمرقة

فاحست امرانت بوخر ضمير مؤلم لمقابلة بعلمها سوء ظنونها فيه مجودة
لا توصف وودت لو تسقط على قية . فيه تعرضه فلم يجبر . وقوي انقاد قلبها
بالحب له والاعجاب بذكائه عنها انه عارف بوجودها هناك حتى تتظاهر
له في نفسها وتقر بسوء علمها

واسكنان ارمان على غير طبعه عند سماع اقوال الكونت الملوثة من
الشرف الصحيح السامي . غرابة شعره تنقص في ايمان امرانت قبالة ما نال
الكونت عندها من الكرامة فخار ثائره^(٢)

— لا ادري يا حضرة الكونت من فوض اليك الحماية عني والمجاهدة

في سبيل نجاتي . سرلا بسبك امري . انني لا اقبل علي منك فضلاً

— انك في ضلال ولا بد من ارشادك وانقاذك

— اقتدر على اجباري

— انني قادر على اجبارك وعلى قيادتك

— ذلك مستحيل عليك اللهم ان لم يكن لي ولاء المجداركة ("بتعلموني

اذا او ماتت اليهم . تلك لعمري خيانة كبرى

— واذا اقصيت لك بحب من تدعي حبه انسخيل قيادتك علي

— صدقت ... انها الوسيلة لتعرض اعلى اليهم . وعليه انني اتبعك

ارني الطريق

— اني طريق

— لا لال بل لنرجع الي ما كنا في صدده . ولنقتربنا ان شئت موضعاً

متروكاً نتخذ لنا به السوف حكماً فننض ما بيننا من الضغائن ولانسا كل

وبرج من سلم منا ظانراً فرحاً اذ قد تخلص من ضده . هذا ما اسألك

ولا اطيعك الا اذا اجبت عليه

— هداك الله ليس ما نطلبه بممكن

— اخن ابني

— انك لا تحبها

— احبها وابني اذ لا اطيق لك حبيلاً علي ولا احمل ان تتزع علي

اماها باغاثة ومعروف ابني لاني اريد الموت والموت طولي هنا . ابني نعم

ابني وامل ان اراها مرة ثانية فلا تنفرق

— يا احبي ما اعرف ولز اعرف . ابداً اي صلة سرية تهد حياتك

بجهاها ولكن اعرف ان الصلة رجوة وفي طامرة كنسها ولذلك لا ارضى

بموتك . فعمل لا تحبها انت بحيث تداعيني على نجاتك

فرض ارمان على شفتي حتى اثرت اسنانه فيها وقد شعر ان طول
تسعو لا يزيد الا انحطاطاً وصغراً فصبر لئلا على حمل ثقل الجمل وقال
— اني مستعد لانها عك

فتهدت الكونته اذ ذاك تهد فرج . طم اندريام
— خذ هذه الملابس وارتر بها عاجلاً . انك تجد في احد الجيوب
حوالات على صبار فشي في اوروياماميريكافتمتد على التي تستخبرها .
وقد واجهت بغسي الر بان الفرنسي الذي اتى بك . وهو يقطع صباح ضد
الهاميركا الجنوبية . فيترك الى احد بناطات البحر المتوسط اذ لم تشأ انعام
السفر معه . انني احطت كما ترى بكل ما تقتضيه النظرة للضرب . والان اذ
تسرت بشباب الخفية لم فاربك الطريق ولا يرك ما تبصر فيها من
الهيئات المفردة

ثم هز يد ارمان بجو ورقة وتقدم الى الحائط واخذ يقلب باصابعه .
ففر ^(١) الحائط للحال فغراً عظيماً وبانت لناظرم اقية مستطيلة يديرها
سراج ضعيف . فاجم ^(٢) ارمان من الخشبة رغماً عنه وظن ان هناك بعض
الحمل الشيطانية ليمس الكونته منه . غير ان خوفه ان يسقط قدره لدى
امرات فجأة على اقماع الخطر فاستعد للدخول اولاً اذا وقفة الكونته
— باذنك علي ان اخدم

واخذ ذراع امراتو بلطف زائد واندفع الى الامام فتمعها ارمان يجرأ
العادية مخفراً من الاخطار متأهباً لردع من تصفى له مهاجمة الى ان
ابعدوا قليلاً عن العين وهناك لمس الكونته صخرة فاستعد ^(٣) فاغلق النفر
كما فتح بلا صوت وتوغلوا في الداخل نحواً من عشرين دقائق لا يسمعون الا
تتابع اقدامهم في مملك لا يطلق المروريه لثقل هوأو وتعوج احاثو
وبعد ان قطعوا مسافة طويلة وقف الكونته امام سلم كان يضي

عليه السراج لاخذ قليل من الراحة وقد اضحك الميرامرانت ثم اشار اليها بالجامع

— بقي علي ان اطلعكم على شيء لا بد منه لمعاداة مستهلككم وتاكيد راحنكم . قد وقفنا على اكبر الاسرار واخطاها على سر يذهب بصاحبها ان لم يوافقناه . ان الطريق التي سلكناها الان مجهولها كل الناس حتى السروج فاحفظنا في سرفك انك تفتقدان كل الاعتماد عن التسلح بها ولو بالخط وانك لا تحصياني مع ما ابدته من الجليل الا كصاحب تطيب حياته بكنان سره

فانضم ارمان من قلب ثابت انه لا يبع بالسر ولا طرح امرانت على صدر بطما قبله ويقلها دارفون دعوى فرح او فح معانها واضمح مبانها من براءة اللسان

وقد ساء ارمان ما رآه من استرسال القريتين وتمكن الوداد من نفسيهما فتعد حسرة وكظم عظه . ثم تقدم الكونت فاستلقت امرانت على ذراع صعد الجميع سلكا يزيد عن مئة درجة ولما بلغوا اعلاه صفى الكونت هذه صفة خفية فتفتح للحال باب عظيم لم يكن احد ورااه ودخلوا قاعة عظيمة تمتد مد النظر بسطع بها غوسمفل يدير على جدرانها اوتار طاب حجة هائلة الشكل رائحة المظنر ما اتخذته حكومة فيها لاضطرار رعاياها الى الطاعة والاحترام . وما زالوا في السير حتى انتهوا الى حائط لا منفذ له فاخترقوا الكونت بجملته اغرب ما سبق ونظر قليلا حوله واذا رأى ان المكان خلو من الناس او ما اليها بانباة فعماء ولم يعنى الا قليلا حتى ابصر اقسامهم في شارع سان مارك بين ضجيج اصوات من بقي هناك من العسكري واللاعبيين

وكان الليل قد جله غرة الصبح فالتفت الكونت الى ارمان وقال — قد اتممت بوعدي ها انت لا معارض لك ولا مهاجم فطيك

بالرجل . سيقانوكرمي يتظرك بزوقو على الحارثا وقد امر الربان
الفرماوي ان يرحيل بك اي مائة وصلت الى باختره . لك بعض دقائق
لوداع من شئت فلا تنهل لان النهار قد دنا وعن قريب يشعر المحكام
بفرارك

على ان كلام الكونت هذا بدلا من تلطيف ارمان وتسكينه قد زاد
ما في قلبه من الحقد والصنعة وانار كبرياءه . كيف يتم طي الكونت
بوداع امرانت وهو يحسب نفسه مالكها ولا شريك له بها
فالحنى قابلا وحج المسير

غير ان امرانت بما عرف بها من الانعطاف والحنو على ارمان حسبت
بانها املت فرضا لا بد من انمامه فاوقفتها

— ارغب في محادثتك قليلا يا ارمان مع ما يظهر لي من نفورك والفرصة
لمنة لا تفيعها

— اسمعك تكلمي

— قد وجبت طيناتي هذه المساعدة التزامات حبر وولا الى الصديق
الصادق الذي اتفك ودك الى الحياة على حين اوشكت ان تقفدها . ان
اخلانا بها نفسه حبة الذعت من سبط لها يد المساعدة . احسن اليها فلنقابل
احسانه بالشكر والامتنان ولنجد برضانا لرضاء . وطولا بد لنا من الاقتراق
..... انني اخص من قد كلني اسمع فلا تطع ابصاري الى سواء
ولا يجل في قلبي الا . غير اني اقوم بوعدي لك فاكون دائما مستعدة
لمساعدتك . وابل مالي في خدمتك ان مست الحاجة ودعني اليه والاسباب
فعلبك الان ان تسي ما دناك اليه صباحك من العيش والمنكر وتعدل على
المبثات حجاب التعويض وحسن الميرة لتعيش سعيدا عزيزا

فتمر ارمان

— وبعد

سـ وبعد انني اطلب منك نعمتونها لا امل بطيب العيش وصفاً الايام
نعم لا ترفضها لمن امضت حواماً في محبتك . خلّ عنك حب اورور
والشفق بها لتسترد ما فقدته من الصحة والعافية وامنك انا في قلبها
المقام الذي طردتني منه . واذا فعلت فاني اباركك كل يوم ووجه اليك
صلاتي وفكاري . الا ترضى بذلك يا ارمان

— قبل ان اجيبك على ذلك دعيني التي سؤالا واحداً فاجيبني عليه
بحرية فكري . اصحح ما يتوعدني به من الفراق ام ذلك ناتج عن دلال او
خوف . وهل من الاكيد ان لم يعد لي امل بحبك . ولا تعلق^(١) نفس بفريق
— لا تموت^(٢) على نفسك . ما امالك الا كذيفة

— اذا استودعك الله يا خضر الكونت . استودعك الله يا خضر
الكونتة . اخبرني بشيقتك باثني انظرها . ومتعلدان بعد قليل ان قد استجلبها
نرا لا يفتاري منذ الان الا بدمك
والفـ بدناؤه ومضى الى الهياز بما لا يلتفت الى الوراء . ولسان حاله
يشد « صفا لك الجو فيضي واضري »

فقال الكونت

— يا له من نعيم بنسي يتقل على الاندال حمل الجميل .
دعوه يا عزيزي امرأت لا سهل الله له طريقاً

(١٤)

ولما غاب ارمان شعر الكونت والكونتة براحة وفرح تصرعن وصنعا
الاقلام . قد غلصا من رجل حملها ثقل الاحزان والاضرار فاصبحا وحدهما
لا مزاح ولا معارض . فمران الكونتة فكرت برعيد ارمان ومهديه
ان يخطب اخوها الزهرة البانعة وقد اودعها اياها ابراما للمحافظة عليها

١ رجا ٢ لا تعد

فتقطب جناهما ومطلت الدموع من عينيها - ولي قد عظم الخطب...
أأصرح بما في نفسي -

فتركها الكونت تنزه عنها لعله ما يلقاها من الاحزان وهو معتبر
سكونها كما اعتبر سابقا كل افعاله. وبعد قليل قالت له

- يا عزيزي اما آن رجوعنا الى البيت

- انا زهرين امرك

- انتي مشغولة البال قد دخلت سجن ارمان وبعيني امرأة لولاها
استحال علي الدخول . امرأة نعيمة قضت عمرها بالشقاء . فعاقبها الله ان
ارسل لها ضربات حمر عاقبت النمل والعار . انها بقيت لاثك بالهين قليلة
هوانا . سرينا يا اندريا نستعفي اخبارها

- لا تلعين يا عزيزي هذه المرأة من هي . قد اطلعت في هذا المساء
على حقائق رائعة عنها انها . . . شقية . . . اشقى خلق الله . . . وما
صلها . . . ارى انك حقيقة بالادسا ان حبها الزائد قد غسل سابق اثمها
فانا اجتهد في نجاتها بددي لان اضطرابك وهلم الى البيت لان التعب
قد اضناك

- لا يا اندريا خلاص المركزة قبل طلب الراحة

- ابرضي فانها ستجني

والثقت الى الوراء فابصر رجلين يمشيان مشية معروفة دماها باشارة
خصوصية اليه . ومن في اذنيها شيئاً فرجع الواحد الى حيث كان ولتجه
الثاني الى قصر الدوج

ولوجه الكونت امرأة

- قد تمت ايامك فتمضي ايامي بان تذهبي الى البيت لتعتريجي
- في الحقيقة انا بحاجة الى النوم ما ازعجتني هذه الليلة جعلها الشاغر
عهدنا بالكسر والعتاب

وسارا من ثم نحو القناه وامرأت قدكر بمظنة زوجها وسلطوا القرمية .
 كيف ان علامة صغيرة منه كنت لنبجة حيس من المضايق مع ان اللوج
 لا يجرأ على مثل ذلك . فودت لو وقف على كنه حاله . غير ان تجلة^(١)
 الكون لما وما ابداء من كرم النفس منها ان تنالها بقل هذه المسائل لا
 سباً وفي سقّالما ما يظهر شكوكها وسوء ظنها ف يرجع الخلاف ما بينها وتعود
 ايامها اشقى من ذي قبل . ولعلّ سقّالما افشأ سر زوجها وباتالي هلاكه
 كما قاله لما . وكيف تريد هلاكه لا طناه غلة فضولية وهو المنضل عليها
 والحسن اليها . فعزمت لذلك على الامتناع والصمت

ولما وصلا الى القناه ركبها وورقها الى المنزل فقالت امرأت
 — قد سافر والمحمد لله

— من يعلم باعز ذلي . انه اخبث من حرباً . كل يوم يغير احواله
 وملايكة

وقضيت مسافة اليازينا بسكينة لا توصف واسترسال بيدد الموم
 وبشتت القوم وبلج التحاين ساعات من الحمأة يسكران بها من خمر المسرة
 والصفاء . حتى وصلا الى القصر . فصعدا واغتلبا كل بفرفرة

وعند القيام من النوم امرت مناما ما زيل ذي سانت مام باعداد
 زورقها فاقبلت اخما تعني بجليها وتناهيها^(٢) بالكلام الرقيق وفي جامدة
 باردة غور مكثرة . وبعد ريتها ركب زورقها وسارت تقش عن ارمان
 في كل شوارع فيبسيها واقنيها وتساؤل عنه في كل قهوة وملعب كآن
 بينهما موعداً باللقاء . ثم امرت ان تقاد الى الباخرة الفرنسية رجاء ان
 تجده . وكانت الباخرة قد اقلمت فاقبض قلبها ورجعت الى القصر حزينة
 اشد الحزن تأمل ان فصلها رسالة او خبر وتنتظر ما لا تعلم حتى تمضت
 عليها ايام بالوحشة والخوف عليه من الغي او الحيس فرجعت تلك

الزهره تذل وعادها نحوها

وبقيت مدام دندولو على سكوتها العادي مواظبة على الاهتمام باخوها
والمهرطيا بصبر طويل مرضية لما بكل شؤنها محملة كل نويها بما يعلم عجب
وقد طالت عليها غيبة المركيزة بر يسكا فارسلت تفتخر عنها . واتي الجواب
ان وصلها كتاب من اهلها يستدعيها الى ميلانو بكل سرعة فرحلت
وبعد ثمانية ايام من سفر المركيزة اقبلت رسالة منها الى مدام دندولو
هذا نصها

« قد صافرت ولم اشاهدك ولكني اطم ان بك خلصتني من وهده
«الملك . انت لتيج ارمات وانا تبعته وقد لحقت به ونحن الان معا .
«لا يعلني ولا يرحب بي . فانا عنده بمثابة متاع من البيت . بكلي ماندر
«ولا يزال من اجلك في حالة اخشى عليه منها . بجمك حتى انه يفضك
«وقد حرم علي مكاتبتك واخبارك اين نحن . وانا الان اكتب اليك خطبة
«لا شكرك على معروفك . »

« لا تضلي عني فقد اسيت عبرة لمن اهنر . رماني الحب فاصاني (١)
«اني اشعر اول مرة بهياج في داخلي اشبه فعلة بفعل النار وطيد اكفر
«بالامي عن سابق انامي . لا محبة بالله بل برجل يكون سبب موت وعندي
«من ذلك سابق علم . . . »

« استودعك الله يا عزيزتي قد حكم علي بعذاب واحزان ابد بلا استغيب
«عليها العز والجد سينا عنه . احذريه دائما . فقد توحشت (٢) من عبوسه
«وتوحده انه يمت عن اخذ النار منك . وقد نهيتك الى نفسك فتنبهي
«وعليك السلام »

صدقة لك المظنة فبورينا بر يسكا

ولما فرغت من قرأهما اشقت على ناعسة المركيزة وارث الرسالة الى

زوجها فتلاها ثم ردعا لما وهو صامت فقالت

— ان انت اقلتها من الجن

— لم اعدك بذلك

— عجباً أنت قد بدد الى هذا الحد في قبيسها بلد الخنازير

— قد سألتني يا عزيزي امرأت ان اتق بك كل الثقة ففعلت وأنا

اليوم اسالك تمام الثقة في فلا تخيبني

فانطرحت على صدر زوجها بدعي^(١) وحنو ثم قالت

— كل منا في قلبه سر عظيم مخوم طيب ان لا يسع به سر ترك خيمة في

سواء صفاً أو فلتصبر على هذه القصة التي بلانا بها الدهر ولضرب عنها

صفحة فليس اسرة بلا حزن ولا امان مفكاً من حكم الله

ومن ذلك الحين اصرت عن الكلام بهذا الشأن وكثيراً ما كانت

ترصد فرائصها عند ما يبارتها بعلمها وتطول اقامته خارج البيت فتعد الى

مفاتيحه غير انها تأتي نقض وعدها فيترأى لما زوجها تارة فجولاً في تلك

الغايه العظيمة والحسوس المائلة والدعايزر الشيطانية مكنتاً بالملك

والاخطار وطوراً قائماً بين البغاة يحكم بالاعدام والعنايات على اناس

اصابتهم الحكومة بجورها وما يبرأ بطلين من الله اخذ نارهم بمعاقبة ظلامهم

وسكب الضربات عليهم . فيصرخ ذلك فوادها ويلقيها في مخاوف واحزان

لا يقوى عليها المحرر الاصر — لعن الله بلداً ملكها الجور فحمل اهلها من

الانتماء ما لا يطاق ورمام مصائب واحزان دونهم ودون التخلص منها

خرط القناد^(٢) . . . احمد المولى بكل ساعة على انني لم ارزق ولداً يحفظ

والده في خطيو . . . باركك الله يا فرنا قد حل العز في ارجائك فجلت

بالحرور والاعزاز . اهلك اسعد خلق الله لا يعرفون المصائب ولا طرق

قط على مسامعهم غير جوي واسراف . لينا بعض خدم خدمهم فبعش مراحة

وسكنية في ظل ترمانون وقبر ساي . تستنشق هواء قديماً هواء الحرية والاستقلال -

اما اورور فلم تغير احوالها من الاعلال والنور . واخفا قائمة ابداً امامها تلاحظها وتراقبها الليل والنهار تخوضها من ارمان ومن مهديات . وفي ملازمة مخدعها لا تروض مطلقاً كحبيبي اقبل عليه باب غرفتو فلم يعد يعرف سواها

وكان الصيف في قمتها لا يطلق لنساج الهواء . يا لاجزع الصاذق من الاقنية والبرك وتوالي الامراض المهلكة والامقام الموبقة المرهقة ^(١) وزد على ذلك بليدة اقل خطراً ولكنها امل وتسيحي انتشار البعوض في البيوت انتشاراً لا يكاد يمحط به الوم بحيث لا يبقى انسان الاًلاً القرص جسمه بالثبور ^(٢) ويهلكه الاحتكاك وتضعفه فضلاً عن ذلك شدة الحر ورعود ^(٣) مياه الشرب . ومن مكته غناه ان يمتدعها في الصيف اثقل الى نهر البرهتا وسكن تلك النصور الشاهقة المرتفعة على شاطئيه صيون متأريين من الرخام الابيض النقي الوضاح .

فلما اقبل فصل الصيف واخذ الحر بالازدياد خافت امرأت على اخفا لا تحالها العجيب وذهبت واياها الى المصيف على الرغم منها امل ان تطفئ الحلو نيرانها وتمكن العزلة احزابها فتصلوا ارمان وتلهو بالتجول عن ذكره ولم يات مصيف البرهتا بتغيير في حالة اورور . فانها دامت اقترادها واقطاعها في حجرها لا تخرج منها الاًما تدر الى حديقة حول النار كانت تقضي بها اوقاتاً مجبرة واكتكارات مبليلة . واعين الرقباء محدقة بها من كل جانب حفاً للامان ودفعاً لاسباب القلق

واستتمت ^(٤) الراحة في بيت دنشولو لا يعتمد ارمان واقطاع ذكره . فسررت امرأت بانه نسبا . وفي اخفا . غير انها احبت الوقوف على اخباره فكاتب

الكونت دخلوا الى اغلب المحاكم واستعلم جهده عن مقر المركبة برمسكا
ليحصل بذلك الى الوقوف على مكان ارمان فجأت الاجوبة كلها غير وافية
بالمراد

(١٥)

وافق ذات يوم ان ادعي انديا من مصيفوا الى قبعتها لامرهم .
فاتلع اليها عاجلاً باوصام ان يتطرق في الغد
وفي اليوم الثاني ثارت العناصر ثورة غير عادية اصابته البرق فترعت
اركان قصوره وقصفت اغصان جناحه وحثت الى الارض رؤوس اشجاره .
وامرأت جالسة قرب احصى النوافذ تنظر رجوع بعلها وهي تنظر السماء
تسلسل بروقها في عرض السحاب وتامل هيمان الصهريج عتكار المياه اذ
ابصرت في ذلك الاغباط زورقاً تنور به العاصفة كاللؤلؤ في وسط
الامواج ورجلان شديهان يقذفانه بسرعة لا يحاوان الهباء من ذلك المراك
فهرعت ^(١) الى الشرفة وصرخت باضطراب

— اهنا انديا... باريت... بالخوف...

وفي اثناء ذلك مر الزورق مر السحاب تحت الشرفة . وتبرزت
امرأت من خلال البرق وجه ارمان الجميل وهو رافع كفه يشير بها اليها
هزا واستحقاقاً فصرخت ذعراً ورجعت الى الوراء

— قد آتى... يا بجنونه ومخاطره في وقت كهذا... انه اجل طابع
من ذي قبل... لمت اخي لاتراه... اللهم انت المدير الحكيم

واسرعت لاهة خائفة الى غرفة اورورو وكانت قائمة مستغرقة فوفقت
تأملها

— وحييتاه... كيف هزما الغرام... لو رجعت امي لتعمر عليها

ان تعرضها

وبعد قليل هبطت ذئقة رعدٍ ففضفت البوت من اساسها ثم مطر
شديد غمر وجه الارض بلحجة طرف واجرى سيولا عظيمة من كل جانب .
فأفاقت اورور مرتعدة

— ما اصبح هذا النهار يا امرأت ان اتريا لا يرجع اليوم
— انه يرجع... لا شك انه يرجع... والآن نذهب نحن اليه
— الى فينيسيا

— نعم الى فينيسيا... بلا ريب... وانت... يا عزيزي اورور...
من حيث أنك ترغين... فاننا لا اطرحك... اوصلك الى سيرا الجوز
الصغرى فيصطحب حالك ويحسن صحتك ان شاء الله
— ومن اوثق فيك هذه العزيمة يا امرأت . أغشاهم بملك ام خوف
المعاصف . فاني اعجب من انقيادك لي الان وانت لا تألين قط في معارضي
وما لاني

فاحمرت امرأت وضبطت اضطرابها مخافة ان تلحظه شقيقتها وقالت
— اقرئك يا عزيزي بانني اخاف سكتي هذا القصر الكبير اذا لم يكن
فيهو اتدريا . اريد الذهاب الى فينيسيا واخاف ان لا اقوس على مراقبتك
فيها . فانك تمضين ليلى على المشرقة والكمال غراند غاص بالزوارق ...
— وانت تمضين ارمان ...

فارتعدت الكونت عند لفظ اسمه
— نعم انني اخشى ارمان
— ان تخشيت والآن سيدعوني يوما فاطير اليه ولو كنت مغلولة الرجلين
واليدنين

— لملك مصرّة على فكرك الى الان
— كل الاصرار . قد ذوت حمائي كرهرة في الظل فاننا سطعت الشمس

تجدد روحي وهني فاهب من غفلي
 وما اتممت كلامها حتى سمعت صوت ارجل في داخل الدار فاصفنا
 للحال وانتظرتا ما عماء يكون . مدام دنسوا لوبجيرة ورعب لعلها ان ارمان
 قريب منها . وشققتها بفرح وحيور طائفة ان الذي قد حرمها لذة الرقاد
 واذا بها بالامل والانتظار اتى برحبها من كل احزاعها
 وعندما فتح الباب ودخل المرسى ودنسلو كالح الوجه غائر العين تنفض
 الحصى « كما انتفض البصفر بللة القطر » فقالت امرانت
 - كيف تيسر لك السفر يا عزيزي وقت كهذا . ما الم بك
 - لم يلم لي شيء والحمد لله غير ان شواغل مهمة
 - كنت ظننتك لا تحضر الا في الغد
 - اجبرت على الرجوع في هذا المأ . . . هل زاركما احد بعد ذهابي
 - لم يزورنا احد
 - بقيت اذن وشققتك وحدكما كل النهار . وانت يا عزيزي اورور
 هل العواصف ترعجك وتخيفك
 - تسبب لي ارتعاجا ولما لا اتوى عليها واغني الان على ظاية من التعب
 والاحتياج الى الراحة فاسمع لي ان ادخل مخدعي وانام
 وقبلت بنفوس جبهة شقيقتها بنفوس دواعي ولا سلام وانحت برقة امام صهرها
 وتركتها . فقال الكونت
 - يعني عليك يا امرانت ان تناظري اورور وتراقبها مراقبة اعظم
 وانشط مما في الماضي . . . قد اقبل يوم الكفاح والبراز فعلينا ان نمتد
 للدافعة والعراك
 - قد نظرت اليوم ارمان
 - كيف نظرتو . . . يا الله
 - انني راغبة من امد وجوز مارا على البريتا ومعة نولي ثينيسي

— آآن له وقد وصل اليوم الى المينا... انه جاء بنفسي جواً
لربنا فلما فتحتي يا امرأت للمفاجع واحزان جديدة. هذه ثمرة حبك لرجل
ليس اهلاً لا قنبال حمايتك ومحبتك. وقد بلغت انه عاد الى فرنسا فاحضر
وصاياها يوم بعد الا بالحوالات التي اعطيتها اياها فتعلق بلعب الميسر^(١)
واخذ جبول من بلد الى اخر وهو متذكر يزي غريب ولما لم تقف له على اثر
فطأ طأ. الكوتة راسها وبكت

— اواه. الدم. الدم. اسمع دائماً.. كانه هو..

طارد الكوت

— وقد كسب يا عزيزي مبالغ لا تحصى فطرد المركزة برسكا بمانان
استرقها. ولما نال ما يمتناه من الثروة والنفى اتنى راجعاً الى ايطاليا باقرب
طريق ووصل اليوم الى هنا. وهو غني قد سر على انعام وعيد وافتاد سهامو
بنا.. لا افارقك حتى....

— حتى م

— حتى تاتي من كل طاري

ولم تكن امرأت تخشى على نفسها او على شقيقها لعلها بالزوجها من
السلطة والاختيار. غير انها كانت تخاف على ارمان وقد نهذ ما طيو لبعها
من معرفة الجبل فاتي يقنعهم بازدراء رجلاً اتقده من الهلاك ورد اليه راحته
رجلاً قدراً بوقعة لوشاء بهلكة لا يجد له منها مفرأ

— ارفق يا اندريا فانه جاهل لا يعرف ما يصنع

— انني مشول بكرويا وور امام الله والناس فاطدك ان لا اهاجم. لكن
اذا عورضت فمست الحاجة ادافع كالاسد ولا ادع فرحتي ثقلت من بين يدي
— وهو لا يجنب.... باللاس...

— انه لا يجنب ولا يجنب بل يمسر يبراة وتغفل وتقل المحكم بكاد

يطرحه ... يعلم عن يقين من أي مكان قد لجأ ولا يخاف أن يرجع إليه .. انه
لاقي من الجلود

— بل انه يا عزيزي غرسه حصة اهلها الزارع فلم تحط الا انما راحة .
قد اتبع اهلها قطارت يو وهو يخضع لها

— بس الخضوع

— آمن الواجب ان يحجز على اورور

— بل تبقى حرة كما دوما غير ان المراقبة ينبغي ان تكون اشد واحزم

— اسهر عليها بناتي

— اخرى لك ان تنهي الحشم لناظرهما والضرورة تقضي الشروع

بالعمل لان ارمان رجل خفيف لا تحول دون عزمه المصائب يجتهد ويصم

بالوصول اليها باقرب وقت . واخبطات الجو في هذه الليلة وشدة الخاف

بساطا و على بلوغ مناه . غير اني قد احتطت بوسائل تقوى عليه فسكني بلبالك

— وهو

— قلت لك اني لا اهاججه ولا اريد له مكروها . ان افعله وحدها

تكون الجبانة عليه

وقرع الباب فدخل خادم وقدم الى الكونت رقعة مطوية وقال

— قد اتى بها يا سيدي الان رسول تحت المطر والعواصف انها ذات

اهمية على ما يظهر لي

— اشعل النار ليصلي الرسول وقتل له ان يتضر

— سمعا وطاعة

وقض الكونت الرسالة وقرأها وقد اصفر وجهه واضطرب في ظاهره

عند تلاوته اول سطر . ثم طولا وقال

— ان ما ذكرته لغاية في الصواب . في هذه الليلة تعلم اورور بان اليوم

الذي تدعون من صميم قلبها اقبل .. قد قاجا يا عزيزي امرات من قليل

خمساً كتاباً لها غير ان المراقبة نقطة ورجالنا اشداء لا يدعونه يخلص
— يا الله... —

— لا يخفك ان المسير غرا قد ارسل لنا رجالاً للمحافظة بمول عليهم
وم موزعون على كل جهات القصر وواحد منهم في شرفة اورور غني
وراء صناديق الزهور... املي وطيد بانه لا يهوى علينا ولا يقد على التخاص
من حالنا

وقد اوقع كلام الكونت الحشية في قلب امرأت من ان تنقد اخبها
فتمضت مصرعة تريد الوصول اليها وانا بالخادم قد اقبل حاملاً رقعة ثانية
ودفعها الى سيده

— ان الرسول نعي ياسيدي تأدية هذه الرقعة
فتناولها الكونت وتلا

«سلام على جمهورية فينسيا وعلى كل اشراغها وخصوصاً على كبير الطوائف»
«الكونت خندولوا ما بعد فقد حكم علي بالاعدام ولم اقسى الموت بل اودرته»
«وصلت الان من فراري واقمت بما توطدتك به والحجر لا يسهل الا التجار»
«عوده او وعده...» «انت تقرأ هذه السطور وانا الذي تجادته اورور»
«رقبوا ذلك مجاد هو في وانا خادهم. يستعمل عليك قبضي كما فعلت في السنة»
«الماضية. اني غني ولين لا تقوى علي المصاعب ولا تتعذر عن هني المطالب»
«ابداً اقطع البلاد ونجمي في صعودي وهي في صعود»
فاجتم الكونت اجسامه امتنان واحترار وقال

— يا له من احسن رقيب ولكن من يمش يرى... ثم عاد الى قراءتي
«قد شئت الحرب بيننا فاستمد منها حرب شديدة غير حيان^(١) فذهب»
«باحداً نا... ونسي لحدثي بالظفر والظلية... الى المتقى... الى المتقى»
«حين يامن اشأ»
«ارمان»

وكانت امرأت تصنع كتاب ارمان وعبرها بها تهافت من عندها مما كانت
 المطرف قالت بصوت قطعة الرعب
 — يا صديقي ما تعتد ان تصنع
 — قد اتصفتي هذا الرجل وامات جنوني عليه وطول انائي . انتهي
 اسلمة ما صنعت من الحرية وارجعة الى حيث كان . واذا اطلت التهامل كبر
 امره ونمتني الناس
 وطلب الكونت من جهة الرسول فلم يجدوه لاهوا ولا رقباء المسي غراند .
 فخامر^(١٦) الرب مدام دنلوبو وهرولت الى غرفة شقيقتهما فوجدت نساء
 نائمات امام باب غرفتها والغرفة خالية لا احد فيها وابصرت رقعة مرمية
 على الارض فتناولتها واذا بها
 "قد دعاني فبعتة . . . امتودعكم الله"

"اورور"

وعندها رفعت الكونتة على الارض وصرخت صرخة ارنجت لما اركان
 القصر . فاقبل الكونت ببعضها
 — ماذا جرى بحول الله
 — اورور . . . حزني اورور . . . قد ذهبت . . . قد اشتعلها . . .
 ارسل رجالك يستنبر عنها . . . والاموت قهراً
 فاوبد الكونت من النياط
 — يا له من شقي . . . قد صدق . . . ولكن لا بد ان اجده

(١٦)

في ليلة زاهية زاهرة من شهر تموز يحملوا الاكدار صفاً ساجداً وتلاكوه نجومها
 ويطيب النفوس نسيمها الليل المعقري وتفرج الخطا طرقة ما عها وتواجه

المخيف كان زورق كبير الحجم تحمل المحمل يقطع بحيرة كومو في بلد جميل
 البنيان كثير الجبان ساكن سكتة خوف ورعدة كان حادثاً رائعاً انا مع بكل كلفة
 عليه فابعد السكان عن ارضهم المخصصة الضاحكة بالنبات وتركها خالية
 خاوية. وكان الصدى يردد من دقيقتي الى دقيقة دويّ ردد بعد تناقله
 الجبال ويستطيل في السهل قد دنت الحرب وهرجها من تلك المروج
 اللينة المادقة اندفعت يد الانسان تدمر ما صنعت يد الله من آيات البداة .
 وكان الزورق الذي نوهنا عنه يتقدم يبطو كئي يوشك فذاقة ان
 تحمل مياه وعزائم لشدة تعب. وفي اثناء المهر سمعت قصيدة مدفع ارتجت لما
 تلك النواحي فرفعت الحجاب امرأة في شرح الشباب وقالت

— سنفانو اذا لم نسرع يصير طينا الوصول الى المثل الذي تقصده
 — اعرف ياسيدي لكن الزورق تحمل طنا وحدي احضره على هذه
 المياه المتكاثرة

— ما العمل اذن وكيف التدييران شقيقي تحمل اوجاعاً لا مزيد عليها
 وتريد التزول الى البر . . . ولكن اين انزلوا ولا اري احداً في هذه المجهات
 التي طرد الخوف كل اهلها
 — لوان سيدي هنا لا عاني على التقديف . فاننا الان اهل المجهود
 والله لا يهملنا

— لا تنزل بعيدين
 — لم فصل بعد ياسيدي آلا الى ثاني بحيرة من كومو والمضكان الذي
 تقصده واقع بين الثالثة والرابعة
 — انا اعينك ولعل اعانتي تاخذ لك بقليل من الراحة
 — انت ياسيدي . . . انتو
 — ارني كيف تعمل
 — لا تقدرين على هذه المشاق

— يقدرني الله

— لم تخلفي هناك لئلا تلهي هذه الاشغال فانك تضمن ساعات ولا تستطيعين

ان تدفعي الزورق

وسمعت الامراة صوتا من القرينة يدعوها فاسرعت للحال

— ما لك يا عزيزتي ماذا تريد مني

— اريد الموت هنا ما اطلب من الله ومنك يا سب هلاكي

— تشعبي يا عزيزتي تشعبي فمن قريب فصل

— انني اتوجع انني اتوجع ... اه ... يا الهي ارفني في طراحي

— تريد من قليلا من الشراب الذي يقويك في مثل هذه الاوقات

— لا اريد شيئا .. اتلوني ... والآرتي في البجيرة ^{والمسكين}

— امرتك يا عزيزتي ... ارسني هنا باستفانو امام هذه القرية التي

تظهر عن بين البجيرة . لعننا نجد مكانا نغضي به هذه الليلة وفي الغد نرحل

— حسنا يا سيدتي

وصوب راس الزورق الى القرية المشار اليها وبعد اشد العناء وصلوا

الى الريف فانزلت المريضة ونزل كل من كان معها وتقدمت الامراة

واخذت تنقب عن مكان تنهمر لم يوايها الى ان وقع بصرها على راهب

جالس وراء نافذة غرفته مشغول بالصلاة والعبادة فصارت اليه وابتدرته

بالتمحيه . فامسك الراهب قليلا ثم قال

— من انتم

— غرباء . نطلب مأوى لثلاثة مريضة

— من اين اتيتم

— من ثيبصيا

— كم عددكم

— امرأتان ومعنا طفلان

- ما املك
 - الكونكة دندولو
 - أما لك بعل
 - نعم وهو مهزم من جهة اخرى ويطلق بنا
 - الى اين انتم قاهيون
 - الى بلبيانينو
 - تعرفين اخن المركيز برصكا
 - قد دهنتا كفته
 وكانت وراء الراهب عجوز هزلة تلفته الاشارة التي يلقيها وهي تصيح
 ولا تصيح وتنتظر بجموت لا تنظر . فجمعت الكونكة عند ما تأكدت ان لا
 خطر يهددها وجدت المحدث
 - قد غابك الفرنسيون لا شك
 - لم نزم الى الان
 - اخن الجمهورية المؤثرة
 معاذ الله
 - فالأمبراطور العالي الشأن
 - كلاً
 - ما الداعي لفراركم
 وتيسمت الكونكة وشما عن حريها
 - ولما اشد حرسكا فلا تفغان الباب ان الفرنسيين يهددون عنكم
 فلا خطر يخشى
 فتوقفت العجوز عن الاجابة واخلفت بالراهب قليلاً ثم رجعا فقال
 الراهب
 - نملي باحضرة السيدة اتنا نفتح لكم اذا لا خوف علينا من الفرنسيين

وفتح الباب فاشارت الكوتبة الحاتبا عنها فدخلوا جميعا الى العجوز ترحب بهم (ولعل ذلك الترحيب لزيادة طاعتها) ثم اعدت فراشا ناعما لا وورر طاعتها بكل ما يلزم لراحها وجلس من بقي لتناول الطعام فقالت امرأت - انتكاهنا في نعيم ابدي... ما احسن موقع هذا البيت بين المعتزلات

الاربعه والمناظر البعيه

- بليانوا احسن لو تدبرين

- نعم يمدحون بديع خطتها وطيب هواها

- ولكن كيف يمكن ان نعايشوا المركز بريسكا وهو هم عندنا من

اخباره ما يذهب بالعقل

- وما اخباره

- يوكون لنا انه ساحر هائل يمضي ليله بالتخضار الابالسة

ومداعبهم

- اصحح ما تقولين

- غاية في الصحة . ولذا الاموت وقد بلغ من العمر ثيفا ومئة سنة

- تعرفين كل هذه التفاصيل

- بكل دقة واعرف ايضا اخبارا تسرك معرفتها كي تحطري

- قصي علي بعضها ان لم يزعمك ذلك

- اصفي جدا... » بليانوفيرة مبنية بناء غريب النطق عجيب

النظام يوجد امام مدخلها صفا مرمر بهيئة اربعين ان توصف عاديان⁽¹⁾

لا يعلم من اي عهد . وهذا المدخل يوصل الى ساحة عظيمة قائمة فيها

اصنام عديدة قديمة وبالجانب الاخر باب كنيسة يعلوها سهران من فضة

واصل هذا البنيان العظيم الشاهق كنيسة صغيرة ومنسك خضرم يكن

يسكنه الا الزاهدون بالدنيا الراغبون في سعادة الآخرة . وقد ثار مرارا

على اولئك النساك كفرة ارضياً وقت تحزب الكليلين والمجليلين^(١) وبما
 هم ذات ليلة يرتلون ويسبحون الله اذ قرع الباب بصف وانفتحت ابواب
 اقوى من زفير الذئاب بالشتم لم والامانة. فاختبأوا في غرفهم واستمروا
 في الصلوات وهم موقفون بالهلاك وقد تمكن الاشرار من كسر الباب فدخلوا
 تروا الى قلب الكنيسة واستمروا فيها كل بدنس شتبا من المكربات ثم جلسوا
 على المذبح واستخدموا الماء المقدس للأكل والشرب حتى اذا فرغوا عسلوا
 الى غرف النساك فذبحوا كما تذبح القطعان واحرقوا المسك وحاولوا احراق
 الكنيسة فلم تؤثر بها النار لصلابة احجارها. وفي الغد وقف ريسكاريوس
 الكافر على رسوم سليمانوف اعجبت خطتها ومناظر كرها فاقبضت بها تكفيرية
 ثم تنازل بنو فسادوا المسكن المجاور للكنيسة واقاموا الجبان والمخادق
 بما في سليمانوف عليه الان. وقد حل عقاب الجند على هام بينهم فولد اكثرهم مصابين
 مشوهي العقل والجسم ومن بقي صحواً بناجوا من الالبسة ويستعملونها لاثام
 غاياتهم. ومن عجيب ما يروون ان النساك منذ يوم قتلهم ما رحلوا ان يترأوا
 كل ليلة في الساعة التي دنس بها الهيكل فتقرع اجراس وهمية تملأ النفوس
 رنيناً وتنبؤ الكنيسة كما كانت قبل وتشعل القناديل وتظهر الصور والتماثيل
 فتبدأ الكهنة بالصياح والترانيم وتنزل اصنام الممر عن قواعدها وتدور
 حول تلك الاماكن مسبعة وقع اقدامها المجرية. ثم يقول ذلك المشهد الى
 برك دم ..

على ان هذه التجليلات قديمة العهد كما ذكرت وهي المعبود الوحيد الذي
 يبعد السكان عن سليمانوف والمركز بريسكا الذي تفصونه الان فاطن وحده
 ذلك البناء الخفيف منذ خمسين سنة لا يخرج منه ولا يدخل فيه احد. وهو

١ حبان احدهما تشيع للبابوية والاخر للامراطورية في القرون الثاني عشر
 والثالث عشر والرابع عشر وتخرج من اختلافها حروب ومصائب كثيرة باقية آثارها في
 ايطاليا الى يومنا هذا

يخشى النساك لاشك ولولا حياة الشيطان له لما بقي بهن تلك المراتي التي
تظهر له فطاعة ونظافة اجداده

وتوقفت العجوز قليلاً ثم اتمت

وقد استدعى اخيراً كته اليه وهي تقاسي قرعة ما لا يطلق من الصنابات
وتحصل من مظاهر النساك ما يشيب الطفل من الاوهام

فتأوه الراهب وقال

— مسكينة هي... قد بلغت عنها اخباراً تلقني بالاسف... وهي

مرضاة الان وقد تغيرت حتى تصرت معرفتها على اهلها. وعندي ان يارتكم
تكون لها تعزية كبيرة في خلوتها

— هذا اكيد

— ولكن لا اظن انكم تمتلكون هناك تمام الراحة والمسكنة لاسباب وعن

قريب يصل اليها الفرنساويون وهم ذلم الله اقطع واقسى من جميع الكليلين
والجبلين

— انني فرنساوية باحضرة الاب

— انك فرنساوية... اطربني ياسيدي... فاني اصبر في مثل

هذه الماعة... ان الفرنساويين هم الطف خلق الله واشبههم

وطلا الاصفرار وجهه ووجه العجوز من الرعب فتبسبت الكوتة وقالت

— لا بأس عليك يا حضرة الاب. ان بعلي طلياني وانا متوطنة في ايطاليا

من زمان طويل. فضلاً عن انني انكر اناساً قتلوا املي واحداً فاني وقتلوا

ملكاً وملكة عطر الارض نشر فضائلها فانا احشام مثلكم ولا اريد الا بعدد

غير ان الراهب وخاضعته لم يأمنالى هذا الكلام وبقيا خاضعين ان

يقصص منها الفرنسيون على ضيافة اناس تشيعوا لغربني وطهم فقال الراهب

— متى ترحل السيدة وحشها

— صيحة ندي فاني ارجب في الوصول بلا بطو

— نعم الفكر

— قد حان وقت التوجه قبل ان استمع بالذهاب يجب علي ان اشكر
حسن اختياركم لنا والافتاءكم الهنا راجية بانكم لا ترفضان هذه الاغاثة للقراء
هذه القرية

ودفعت الى الراح كما مضى ذهباً ثم سارت فانطرحت على سريرها
واخذت تفكر بالحادث العظيم الذي قلها من قبيسها جهة ايطاليا الى تلك
القفار الشاسعة.

وما ابتعدا عن قبيسها الا حصار الفرنسيين لما واحداً منهم كالمطوق
بالجهد لتحريرها والاستيلاء عليها . وقد خرج بأمرانت زوجها عن طريق
البري ثم ارسلها الى ميلانو ثم الى رومية للاستئمان عليها ورجع هو معزفاً
بنفسه للاخطار ذباً " عن بلاده ومحاماة عن ابناً وطول وفي طريقها وصلها
رسالة من المركيزة برسمكا تستدعيها الى بليمانيو لقضاء مهام جليلة .

ولما اصبح الصباح افادت الكونتيسة اختها وكل حشمتها واقبلوا الى البصرة
فسار بهم الزورق ثلاثاً على حوالهم نسيات لطيفة معطرة الاذيال بما ينفع
الصدور ويملا القلوب فقالت امرانت

— يا عزيزتي اورور تذكرني هذه المناظر البديعة تريانون وقرساي
ولولا حزني وانشغال بالي لمحت بالفكر الى تلك البلاد وجدت ما كان من
الملاعب والملاهي وسرت كل همومي . . . اليس فكري فكرك

— انا اذكر تريانون حيث رأيت وقرساي حيث احببت وقبيسها حيث
فقدت وفقدت الراحة والعافية

— يا وبلاء . . ما العمل لتسلم ولو دقيقة واحدة . . اللهم كيف تقاوم
البري بحيرة غيره . . .

القسم الثالث

بليانينو

(١)

وعمّ الصمت في الزورق حتى قضى النهار على الشقيقتين دون ان تنهوا
احداهما بكلمة. وكلاهما مستغرقتان في أفكار مختلفة عن موضوع واحد. وعند
المساء غمر غروب الشمس صرخ ستيفانو
- بليانينو. - بليانينو الحمد لله

وكانت المركبة بهمسكا تنتظر رافعتها بفروغ صدر. فلما وصلت
استقبلتها بكل ترحاب واوصنها ان يصعدا وحشهما الى البناء بكل امان
فريط الزورق وولجحا الى النصر كما لمون بصوت منخفض ثم دخلت السيدات
الى قاعة الاستراحة فقالت المركبة

- اضرائني يا عزيزتي هذه اماكن لا تليق بشانكما لاشتداد البرد فيها
شتاء. والحمد لله نحن بفصل الصيف فضلاً عن ان في هذه الاماكن تكونان
براحة وامان اذ لا احد يشعر بوجودكما فيها. فان غرابه حي واحباره تبعد
الناس عن بليانينو

- ولعلّ المركب عمك لا يرضى باقامتنا هنا
- لا تخوف عليكما من هذا القيل انه ساكن في الحبب الاخر الاعلى فلا
يأتي قط الى هنا ولا احد يستطيع اللهاب اليه وهذا ما يتم مقاصدنا
وكانت المركبة قد تغيرت تغيراً عظيماً كماها خلقت خلقه ثانية.
فقالت

- لو نظرتني خارجاً لما عرفني الا يا عزيزتي امرأت
- قد حصل لك داء. عضال على ما يظهر

— أحببت وهذا سبب اعتلالى وغذى من تغذرت وجى دليلاً على تغذرت
 قلبي... ان هذا الرجل لشيطان رجم
 — لو اردت لصبرته من اكبر الملائكة
 — لا تقايجني بحديث يصير على سمعة... واخذك المسكينة...
 هي ايضاً...
 قاومت اليها امرأت بالسكوت امام اورور لعلها بما اخضا طيو من
 بغض المركزة وحدة اشتغال العواطف فسرعة الطيب. وقالت
 — اين قلبران تستريح اورور
 — قد احدثت لما حجرت اصلحها بقدر ما مكنتي الحال في هذه الاماكن
 القفرة واظن بانها تجد بها الراحة الكافية
 فادخلت اورور الى غرفتها وسارت المركزة وامرأت بعد ان امرتا
 الحشم بالرفاد فقالت المركزة
 — آآني شجاعة يا عزة في الكوفة
 — نعم لمانا
 — لتصعد الى سطح الكنيسة تستنشق طيب النسيم وتشهد المناظر البديعة
 فان انا كما يخشون التنزه ليلاً لما ورد من اخبار نساك باليهاتين
 — هذا حديث خرافة فلنذهب
 — صدقت يا عزة في فانا لا اخافهم رغمنا عن مواصلي لقائهم وعن
 اعتقادات حي الذي لا ياتي هذا المكان ولو قدم له ملك الارض
 وبعد منهية وصلنا الى سطح النماك فمال امرأت منظره الغريب
 الرهيب لظهور غيالات قهقري الاجراس وخيالات الاصنام في ضوء القمر
 فختار يا موصور وحمية يزدخرايتها تلاصق امواج البحيرة بها ولما انخفضت
 حولها. فقالت المركزة
 — اخبرنا ان الفرنسيين على قرب منا وانهم عاقليل يخشون وجه هذه

النواحي

— لا غرو... فقد سمعنا هذا الهار دويّ بنادقهم ومدافعهم
 — حسناً صنعتي بان اتيتي تخطون بهذا القفر فاني لا يفرين الى هنا
 ط اذا اتيتي فلاخذ استحكامات حرية فلا يضررون بنا بل يناقون عنا اذا
 مست الحاجة . لاسيما وان قواد الترنيمين وجودهم من اكرم الناس والظنهم
 — انهم ابطال كرام بايون اللوم فلا عتبي
 — اجبعك الموسيودنسلو
 — على ما اظن فاني عند ما تناولت كتابك ارسلت احد الخدم يخبره
 بانني انتظره هنا . ولا راحة لي من قبلة حتى يعود
 — انك تحبني وهو يحبك . . . بارك الله اتحاداً كله الحب والحنو
 — قد دعوتني باخضر المركزة فاني استرسلت^(١) الى كتابك بدون
 تحذير من طاعة امل ان اطلع على هذه المهمة التي نوهت لي عنها ونحن الان
 وجدنا لا رقيب لنا فاخبريني ما في نفسك
 — قد أخلف ظني فلا اخبرك شيئاً . اراك منقطعة على ارمان . هنا ك
 الله يو . . . اني رددتك فيما مضى عن قصصك فاعني عني عنك
 ولم تلتفت المركزة بهذا الكلام الاغرة منها وحسناً تسميت امرات
 تسم ازراء ورقي واطهقت بهيها على يد المركزة وقالت
 — ارئي لك يا عزيزي قد دعاه الحب فلا تبصرين الآن وراء عواطف
 قلبك اكنت لك ان رواعلي مع ارمان ليست الا دينة صرفة فلا تتخذي
 ضرة لك رواعلي ان ارمان محرم عليّ دون سائر الناس
 — قد شجعتني جودتك وحسن نياتك فاننا افخ لك قلبي واطلمك على
 خفاياه فتحكيين عليّ وتسامحينني اذا لم تعذرينني اني لظالماً تحملت الوجدان
 واطالما كهرت عن ذنوبي

— تكلي باهر يزي فاني اعدك بالاصفا والصفاء .
فجلست عند ذلك . ونظرها طالع على البجيرة وقد نشر الريح على ما بها
روداً فصعدت المركبة عبرها

(٢)

— قبل الفروع يا سيدتي الكوفة أنؤمنين ان حكا حقيقيا بقدر على
تغير طبيعة امرأة
— ايماناً صحيحاً
— أو تؤمنين ان حكا كلها يكون بسببه وان قوته في هذه الامر قوته
في النهاية

— في بعض اشخاص

— هل تعديني منهم

— نعم

— اذن تهين مقالتي . دعوتك الى هنا لاجلي وليس لاجلك لاني
اشعر باضطراب شديد ان اواجهك فتعديني بتصحيح واذاويل تقويني على
ابعاد ذكره . ندعي وافكارى وامرالى تقناني كل ساعة
وتلألاً السمع في حينها .

— انني ارثي لحالك

— تترين لحالي فتعدين يد الرأفة الى شقائي وهذا الشقاء يوقنك على
المخطر المحيط بك خطر دائم صعب الابعاد والمقاربة . قد ضرب هذا الرجل
بينه وبين الفضيلة حجاباً فاقسم ان يهدمك ويهلك بملك واحلك ومن
يخفضك من فرط حبه كما قلته لك في كتابي

— لاجل شيطان من هنا كله

— وقد بذل لاتمام عزمه صبراً طال حتى ظلمته قد سلا . اما انا فاحتملني

غير انه لم يجني وهو اقدر مني لاطلاقه على ماضي ذنوبي فلا اخطو خطوة نحو
الطريق المستقيم الا نكسني^(١) عنها بنظرة واحدة

— هذا حذاب لا يطلق

— جرتي وراة ايضا شاء ولم اقدر على مانع وزاد شقاوتي خوفاً بان
يشعر حي بعلاقانا فيقتلني لا محالة . والحمد لله انه لم يدر بها . اما بعلي
فعارف كل شيء وهو قد هجرني بعد حادثة نابولي ولم يمد بهم يدي في غير
مشكر ان اجماله يسود صفحات عائلته . . . وتوارى ذات يوم ارمان فجأة
وكان قد كسب مبلغ لا يحصى مع رفيقه كرنوفا بعد الفرار من الا بار فعاد
الى فينسيا واقام بها بضع سبب محبة لا احد يدري بمجه وهناك فرق ماله على
اسافل الناس فاستجلبهم اليه وجعلهم آله ليهتم بها مقاصده الحسية . ويمكن
بعد من الدخول اليهم مخفياً بصفة رفيق فاستجلب نطف الكروت ملك
وانطقت به المحافظة على اورور . وكان قد اقام له حلفاً في ظاهر الدار
وكنا متفرقين في كل الجهات حتى الى مدينة بادو حيث كانت تنتظره عجلة
سفر يذهب بها الى جنوفا ومن هناك يركب البحر الى حينا شاء . وقد اتم كل
مقصود على غاية من الترتيب فهرب باورور غير ان المحافظة ظلت بعض رقباء
فلم يخطئة خطوة الا ردت اليهم اورور وطرح هو في السجن مكبلاً بالاعلال
والعار . نعرفين جيداً اي يد انفضت وقد سمعت الشتم والمواعيد التي
خرجت من فيه عندما تحولوا الى عواطف اجل بكرم الرجال . فتركك
ونار الغضب تنجح في قلبه وسار الى نابولي حيث كنت طريحة الفراش من
بعاده . وقد اطلعتني فيما بعد على مقاصده فهو حارم على قتل بعلك واشغال
شبهتك واخذ ما لما عندما نسخ له الفرصة ويترقب فرصة الليل والهار

— هنا امر فظيع

— وقد قال لي اني صلت بالنجاة فلا اكل عن المهاجمة والمناجاة حتى

أرى يوماً هذه الأميرة المحيرة بالخدمة على قدمي وإحدى تحت ثقل الجار تطلب
المغفر لها ولشقيقها . وأنا وأنتي بالظفر . انهما تدوق اذ ذاك ما ذقتة انا من
الذل والطاب فبزداد سروري ونسي ماضي شقائي .

— ياله من لئيم كافر بالخدمة

— واي لئيم واي كافر بالخدمة في جنب امرأة خاطرت بنفسها وشرها
لخلاصه . كأن الشيطان قد اعاده الحسن لكثير فرائمه وقد لاح لي مراراً
انه هو الشيطان . وما طينا : وبارحنا نابولي وخطبنا بحمول في الحمار .
فرنسا حائشين عيشة واحدة الى ان لحق بنا كزونفا فافمد ما بقي في قلب
ارمان من العواطف الحسنة . وكانت الثورة قد انتشرت في فرنسا فخطرت
ارمان بساكنها وخدم العقويين في باريس خلعة عظيمة رفعت قدره بينهم
وأعظمت شأنه فصار لم عضواً يعول عليه لاي مقام الرعب والخوف وتطلع
بالدم الملوكي بعدما غمره الملك والملكة باحسانها لا ضمير يبكى ولا شرف
يردعه . ومع هذا الزمته دائماً وكانت محبتي له ابداً بازدياد . وقد نظرت
سوء افعاله فلم اجراً على تأنيبه الا مرة واحدة اذ انقضي من بعدها مرة الا هانة
فذكرني سابق خدمي الزرية بجهودية فيتمسكها ونسي بانني ركبت الاهوال
لاجل نجاته وخدعت الحكومة واستخدمت ما سلم الي من الاسرار . وانك
تعلمين جيداً ما جرى بعد يا عزيزتي الكوتة ولولا كرم بعلك وفطر فضلك
لما قدرت قط على النجاة .

« وكان قد مضى بضع اسابيع ولم يجدني عنك فدخل ذات ليلة والفرح
مل قلبه واخبرني بانه قد ضبط مآلكم واجبركم على المهاجرة فامسيت تحت
سلطوى المطلقة

— نعم فقدنا كل ثروتنا

— وكانت الشتمات والتهديدات تتخلل كلامه فاستدلت من كلماته المبهمة
واقاويله الخفية بانها لم يزل يريد اهلاككم فمآتي ذلك واضطرب بالي

عليك وعلى بعلك وعلى ما مازيل دي سانت مام ووددت لو أكتب اليك
لا تقدّم من التهلكة فحال يعني وبين مرامي .. ولم يعد ارمان يحتفظ باسمك
ولا بكلام يعنيك فظننت بأنه قد نسي وعنده غير أنه شيطان لا ينسى
وبعد قليل من الأيام تطارى عن عيني ولم أعد اراه وقد ترك لي كتاباً او عينة
لتكرار قراءة يوهنا نصه

« لعمرك ليس فوق الارض باقى ولا ما قضاه الله طاق »
« وقد حكم عليك بفارقتي لا بعد عنك الدل فلا امل بعد بالتآ .. »
« كرهتك نفسي فعودى الى بلادك وأنا ان شئت اتخفك باخاري .. ثم »
« احضرك على الاحجاب والتزهد فالفرار من العالم الفرار وخصوصاً من »
« سطوات .. كرهتك لانهم يغفون الصبر لك ولى .. قد اصاب سهي وانأرت (١) »
« لنفسي فلا يمكن لك بال طي اشتهي لك كل سعادة وغير بشرط »
« ان لا اشاهد سعدك ولا اساعد عليه » « ارمان »

ما اعظم حب القلب الذي يغوى على كل هذه التجارب . قرأت كتابه
الليل والنهار وأنا اقلب معناه وافسره بافكار بعيدة ليضع لي باباً للأمل .
واذا لم اقف على مبتغاي هجرت مقامي وسرت اسعى وراءه فلا اراه حتى تلاشت
قولي . وفي اثنا ذلك وصلني كتاب من حي يعني بالحب والاعزاز
ويدعوني اليه فاتيت ونزلت رجلاً تحت حمايتي . ولا ازال الى الان
التصور اني قريبة من ارمان انفذ امره وهنا التصور اضناني . هذه قصتي
يا عزيزي الكوفة وهذه هي الحقيقة تمامها . لم اخف عليك حتى الحمد
والندم الذي شعرت بهما بعدما دعوتك . قد نبهتك الى المخطر ولو بقيت
عنده لما نبهتك فاحكي اخن واخبرني لي حسدي لانني لست انا قائدة نفسي
بل شهواتي القوية المائلة انه لا أسناه لا يتركني ولا يتغني من اجبني
فاستدعيتك الى هنا مصيدة له لعلني اراه بعد ما اخبرني بين النسا

— حبرة سافرة . لانتك بعلك وحك الفاحش الرري القمت بالمخطر

أمرأتين برمتين

— المذرة المطرة

— اطرِك . . . اطرِك وارثي لعاسك

فاستللت المركزة . ولتتا هدية تفران بالماوية التي قادتها اليها قوة
هذا الانسان الغريب ثم قالت الكرونة

— هذا ما قترلي يا حشرة المركزة كانت المرحومة والذي تحدرنا من
ارمان كوجي انزل عليها وقد قالت لنا مرة « يا ابنتي احاد الله هذا الرجل
عن طريقكما فقد يكون شقوة لكما »

— انه روح الشر اسل الى الارض هلاك من يتعلق بجو ولاضطهاد
النساء . . . من اتى به الى العالم ومن اتاه هذا الحسن الغريب وهذا
الاقتدار وهذه الشجاعة . .

وعندما تلالاً نور القمر على وجه المركزة الاصفر فزاده اصفراراً وتقطبا
وحف الملاء فخيّل لها انها تجمع فرع احراس طوية فارعدت
لجل النساك قد ابتداوا زياهم . . .

ونظرت يمينا وشمالاً فوقع بصرها على الاصنام وقد كساها نور القمر
وهجا زاد هولها فالتفت الى رفيقتها وهي تنفض من الرعب وقالت

— تسلط على الهول يا عزيزتي امرانت وشعرت بقنوم خطي يهددني .
انني خائفة على حياتي من ضربة تنهب بها وقد تفجرت في بصري الطبيعة
فأراها سوداء . . . اتظن شيئاً ولا اعلم ما هو وعلى كل حال لا انتظر
السعادة احببت ارمان وحيه قاتلي ولكنني لا اخاف الموت بل اتلقاه بشات
قلب وقدم فاموت ولا آسف على الحياة

وكان القمر قد غاب والظلام قد انتشر في تلك الارجاء فعادتا الى
المقر وسعنا بعد ان أغلق الباب صوت صنادير قاسياً خارج الدار

(٢)

وفي صبيحة اليوم الثاني افانفت اورور من رقاعها واحدقت حوالها
فبانث لما مناظر بليانيدو البديعة وصفاء جوهها وجبالها الشامخة المنخفضة
واستنفقت هراها التي فمادت اليها حركات الشباب وتقدمت الى الشرفة
وهي تضاهي بلباسها البيضاء حسن النهار وضوء اذنين لما عن بعد زروق
يعبر كالسهم ماء البحيرة وفيه رجلان فتحدثت وقالت
— لاشك اناس مطرودون مثلنا

ثم اخذت تقلب بصرها في البيت وتجب من كبرها . . وحالت منها
نظرة الى السطح فرأت شجكا ايضا الدفن مجدقا بها يمزج من ملابسها وهو
يشور لها بالصعود اليه فراعها باذى بدء منظر رجل غريب لم تره عمرها
وهرولت الى الداخل فدعت خادماها بلباسها انزلها وعزمت على الخروج
فاحتضنها احدي الخادمات

— مهلا يا مديني لم تستفي بعد حضرة الكوتة

— وما يعني

— قد نهتنا عن ان مدحك نخرجين ان لم تكن في معك

— اخن انا اسيرة هنا

— لم نعلمنا حضرها بشيء من هذا

فكفنت اورور عن الاسئلة ولم تحاول الاجبار لعلها ما لخادماها من الامانة
والاستقامة بحق الكونت والكوتة لاسيما وقد اعجباهن بعد الحادثة الاخيرة
من اصدق حبسها . ثم طالت الى الترفة تراقب الزروق والشج قائم مكانه
لا يحول عنها ناظره . وبعد هنيهة اقبلت المركيزة خفية ووقفت بمحضرها
— صبحك الله بخير يا عزيزي اورور ان شقيقتك بانتظارك
فردت عليها سلامها بازدراء شعرت به المركيزة
— كيف تبغضين من يقاسمك الاحزان . كلانا نال لاجلنا وليس ذلك

بكافٍ لتقد اتحاد اقارب

— لا افهم ما تقولين يا حضرة المركزة

وقد نسيت الى الباب . وكانت امرانت تنظرها على المائدة فما تكن سوية
وبعد الغداء سمعن وقع ارجل ثقيلة في الحجرة المجاورة واننا بلخج طاعن في
السن قد دخل عليهن بغير اعلام فهبت المركزة وقالت

— هذا حي

فوقفت امرانت واخذتها للحال وانحنى الشيخ قليلاً للسلام فخطب المركزة

— ايسوخ لي يا فيورينا ان اعلم من الزائرون الكرام

— الكوثة دندولو والمركزة دي سانت مام شريفان فرنسيان
قاطعان فيهيما . وقد تكلمت لك عنها مراراً يا سيدي

— قد اتينا الى هنا . . .

— اجابة لدعوتي

— يجب ان اثبت دعوتك والالا يلتبان الاكرام اللاتني بمومها

فاحفظت امرانت للجواب

— ارى يا حضرة المركزة ان الرجل اسهل علينا

— لا اظن يا حضرة السيدة

— ولاننا

— لان الفرانسيين محطون بنا من كل جهة وعما قليل يغشون كل

ابطالها فلا نجبان لمجاه آمن وادق

— ومن اعطك بذلك يا سيدي

— عيناى واذا ناي . قد سمعت دوي بنادق قريباً ونظرت من مرصدي

مراكهم مشحونة بالعساكر والذخائر . آنت مهاجرة يا حضرة الكوثة

— كلا يا سيدي انني مستوطنة فيهيما من قبل الثورة

— وحضرة الكوثة دندولو قد رافقتك لا شك

— فضل ان يبقى في خطوه عرضة للاخطار من ان يطلب الخلاص .
ولا غرو فان كبراً من كبار جمهورتنا الموقرة لا يحول على النجاة الا بعد ان
يتقدم ما وسعه جهده لا يباد الخطر عنها

— ان اعتناك بالموسيو دنسولو بملك لغاية في الشرف والرفعة وقد
كان اولي لك ان لا تقاربه بل تبقي قرية توينثو لشجينة انا عظم الخطيب من
ان تدعه وحده يحاهد ولا معاهد . . . ولكن اري بانني تطوحت بما لا
يصيني فالمعصرة ان كاين ساهك كلاي غير انني شيج وللشيوخ حق . تصح
الغبان . . .

وكان الشيخ حسن التقاطيع ايض اللحية منسلل الشعر كبير التامة
معتدل القوام قوي الصوت فصيح العبارة مثبت الكلام فاطع النجاة اهلاً
الموقرة والنجاة . فلم يس امرانت كلامه بل طأطأت راسها تشكراً وقدمت
له شقيقها

— هاك عنري وطقي شقيقتي تحت حراستي وليس لها معين ولا محام
غيري تعتمد عليه . صحبها تعتلزم مناومة الاعتنا وانا وعدت والدي وما على
فراش الموت ان اقوم لما مقامها فلا اهلها ايها . انت الى قبعتيما والخطر
يحيط بها فاعتقلتها من مخالفو وجهت ساعة لما بالراحة وفي ذلك مسرة ليعلي
وهو الذي حضنا على الرحل

— فهمت الان واستحسننت

فبسمت اورور تبسم احقرار لم يلحمة المريكز وقالت المريكزة

— ان الكوتة صاحبة شريفة ياسيدي

— عندي انها اصلح النساء وكفى انها صديقتك . . . آمل بانها تقيم
عندنا ليس في اماكن حقيرة كهذه . بل في الطبق الاعلى لتتمتع وشقيقته بمنظر
البحيرة وبحبوحة المطآء فتعلم حيثنذر ما هي بلعائنين

— انني اقبل تعطلك ياسيدي وابقى هنا الى ان يجهنا الموسيو دنسولو

— لمري ان اسم دندولو جميل جميل . اسرة مباركة نسا واما شريفات
طاهرات ورجالها ايرون اشدا . قد وضعوا لسان الشرف والتهامة والنبل
فانخلوها ديكاً لم وما احد اخل بها

ودعا بمخدمو وارم باعداد غرفتين في الطابق الاعلى للضيفين ثم مضى
بعد ان اوصى الازمجة في خلوتو .

وفي المساء نظرن ومن على السطح الزورق الذي نظرتة اورور معجها
نحو بلدياتنو بفنلة الرجلان بسرعة عجيبة فانزلت المركبة الى اسفل الدرج
ونفتحت باباً حديثاً يصل منه الى البحيرة

وقارب الزورق الشاطيء ففتر احد الرجلين الى الخارج وتقدم فلم
على المركبة

— من تريد

— حضرة المركز ريمكا

— المركز ام المركبة

— لا ياسيدي بل المركز

— ومن قيل من

— من قيل احد اصداقاتو في ميلانو وقد امرني بان لا اشافه الا .

فتحنت المركبة وصعدت وتبعها الرسول فقاده احد الخدم الى الجانب
الاعلى وهي تتبعه بالنظر فاكدة بمنصده الى ان توارى عن عينها . وكانت
الشمس تارتق الى المغرب فذهبت وضئتها الى قاعة الاكل وقد اعلمت المركز
انه لا يحضر فقالت الكوتة

— اري ان حماك قد نسنا

— انه غريب عجيب الطبع . قليل الانس نافر كالوحش تصدح حق
على مشاهدته وهو يفضي وقد سعى مراراً بقتلي ففر في فئتهما ماركو
سائتي بال عظيم لبقائي فاني لعلو بطلاني مع الطراف

— كيف اخذت تأمين لك وتأمين في الوحدة معاً
 — اقيم معاً لعلني بما قد فطر علي من المحافظة على الشرف وصباتنا معاً
 وهو يقتضي على نفسي المداخلة عن يدخل تحت ظل ولوطني فانا آمنه لا
 خوف علي

وما امنت كلامها الا حضر احد خدم المركز وقال
 — قد وصل ياسيدي الى حضرة المركز كتاب يود اطلاعك عليه
 — انني انتظره هنا
 — بل يمالك ان تاتي الى محله الساعة العاشرة وحده
 — انني اذهب
 وقلنت المركبة كانت قد طرأ عليها خبر سوء واضطرب ظاهرها بما اعرب
 عن اضطراب داخلها فقالت

— هذه نكبة لاشك . وصلة كتاب . . . كتاب . . . ويريد ان يطلعني
 عليه . . . ومن هذا الكتاب لعل من ارمان وقد غلط الرسول فسلمه اليه . اللهم
 رد عني الشر فاني اشعر بشؤم العقوبة . . . هل ذهب الزورق يا عزيزتي
 امرأت

— نعم من برهة وجيزة

— وكيف اتجه

— نحو جزيرة جيبلان

— وبعد

— وبعد لم تعد نراه . ما ظن بان الرسول اتى برسالة الى حميك من احد
 اصدقائه ولا خال هذه الرسالة تغري الى غير مسائل اهلية بهم المركز اطلعك
 عليها . كل هذا سهل لا اري فيهما تفجيرك وبخيلتك .
 ولم تكن فيورينا نسمع الا صوت قلبها الخفي فقالت
 — ساعدني يا امرأت ودافعي عني انا المسكينة الضعيفة . وبلغني بعد

مالي انني هلكت شهيدة حو فلا بلعن ذكرى
 — بددي هذه الاوهام المزعزعة فلا بأس عليك يا عزيزي فيورينا
 — انني اموت وفي قلبي من المرارة ما لا يطاق . سامحني يا حضرة الكرمية
 سامحني فقد خلقك الله تعزية للباشرين . . . والان حان الوقت للافاة
 حي . استودعك الله لعل وداعنا هذا اخروناع . انني لك ليلة سعيدة
 يا عزيزي اورور
 وانطرحت قتل عتيها والدع بهما من عينيها هماث المطرم
 تركها وسارت .

(٤)

وكان مسكن المركز منفصلاً عن رواق الدار بسلم يصعد به الي
 فوقفت فيورينا ونظرت قليلاً من الطاقة المجاورة . والقرمجال بالنيارة
 الماطعة النضبة كل تلك الانحاء فرأت عن بعد جمال بليانينو تسطع
 عليها مشاعل عربية لم ترتب بانها مشاعل طليعة من الفرنسيين . والجميرة
 مغطاة بمراكب مزدحمة بالانوار تحمل جنود العدو الطافرة فارتعدت
 فرائصها وزاد خوفها سكينه الليل الثامة . ثم قطعت الرواق وصعدت السلم
 باضطراب كلي الى ان وصلت . وكان المركز ينتظرها خارجاً فادخلها
 واقتل بعدها الباب اتم الاقبال ورعى بالفتاح في مجرة محرقه
 وكان من عادة المركز ان يكثر من المشاعل والضيوع امام تماثيل
 اجناده حياهم واجلالاً لكي يرم قاتل الرهبان بما يفسد من غرضه لا شتنداد
 المحر وتكاثف الاجرة بها . فلم تطلق فيورينا الوقوف وقد افزعها فعل حبيها
 فقالت
 — يجب بالي ان يكون ما تريد اطلاقه علياً سريعاً جداً حتى تتخذ هذه
 التحركات

— انه سري جداً وسترين ذلك عن قريب
 واحقق بها احقاق من يعرف القلوب ثم قال
 — ستحدث بهم اهلية امام اجدادنا الناظرين اليها
 — يستحيل علي التكلم والاصفا في هذه الفرقة فانا احقق من ثقل المصا
 — فتعودين علي بعد قليل مثلي . . . والان اسمي لي ان اراجع
 ذكرى الايام الخالية منذ تفترقت فان اراك ككة لي . انك تذكرتها
 لا شك

— نعم انذكروها
 — وعليه تذكرين ما دار بيننا من الحديث ثاني يوم اقترانك
 — تماماً

— ماذا تفترقت فقلت لك
 — قلت لي بان شرف اسمك خير من كنوز الارض ومن الحياة وقد
 سلحتني فعلي بصباتي والاحاسيني وغسلت العار بدني
 — وماذا اجبتي

— اجبتك بانني اقبل العذاب اذا استحقته وانه يستحيل علي ولو
 تلطخت بكل المناسد ان اضايي جدمم بهمساكها فعلة من المنكر والعار كالعرقة
 والقتل والحرق وغيرهما من افعال تشعير عند سماعها الاذان
 — اري بانك ما نسيت شيئاً وبعد

— وبعد هجرت ميلانو وتركك في بليمانو . وقد اقسمت بانك لا
 ترحل منها بعد ان اوصيت فعلي بالمحافظة على شرف اسمك وبالسهر علي
 تيقظاً من عثرة الشباب لان بطرقي ما يذهب بجيالي
 — قد وعيت كل شيء . ومن ثم سار بك بملك وبقيت وحدي اثم
 اعالي مستنداً الى وعده ووعدك . . . فكيف تمنا بالوعد . . .
 فتفترقت المركبة ولم تكن بانتظار هذا السوال ثم قالت وقد فرغ صبرها

— ابن حذك من هذه الحس

صاعني انك الان مجسرة حكم يجب ان تؤدي له عن كل شيء محاسباً .
مالك من حقاً عيماً قد ارتبطت بمواعيد السخيل وفاقومها مع ما انت عليه
من الذنوب والقبائح والان تسأيني ابن حدي من هذه الحسن وانت تسردن
على مصمي حديثنا وارنباطاتنا الالهية واطراً قليلاً بالارض ثم اخذ رقعة من
جيبه وقال

— هوذا ما ينسك ويرفع البرقع عن عينيك . قد تخلصت الى الان
من يدي لبعك عني ولعدم اهتمام بملك بردك حفظاً لشرنا والان لا
انفصلين . قد وصلتني البارح هذه الرسالة من احد اصدقائي الكونت
بروشي تنبني عن الاخبار الشائعة عليك من نشفك احد الشبان
وسميك وراة ... خذي واقرأ فيبين لك اي رجل تخمين وما هي
حالتك .

فاخذت المراكزة رعبها واضطرابها وتناولت الرسالة وتلت
"عزيزي المركز"

قد توقفت عن مجاوبتك لعلني بان نأ كالذي سألتني من شأنه
تلويحك وانما قلبك الشريف غمر انك انتفضته فاطعت على الرغم مني
اننا معارف ما يزيد عن سبعين سنة وكلانا معتمنان بمبادئ شرف لا
يزعزعها الزمان . ان ما افعله لك الان ففعله انت اذا لاسمح الله اصبحت
بجالة كهذه فاعتمد يا عزيزي على الصبر لان الكيم يبلغ والمصيبة عظيمة . ان
الملك الذي تعبد صار عرضة للافتار والمعايب قد دفنت امرأة ذليلة
بذينة ومحنة خيانة ابنك لازدراؤك بافعال قريته . ما انشأها امرأة
لطخت بجلها بالعار وحتت عشاقها على قتله وهو راقد متفاسر وقد بحثت
البحث المدقق اجابة لسؤالك فانت فيطمعها واصلتني الاقدار الى عاشقها
الذي عمد على قتل بعلها وقاسمها الشرور والمكر وهو اوقفني على كل شيء بلا

تتكلف ولا تعب

— وأخبر الكونت يروشكي كل حوادث نابولي ورومية وثبتتها باحترار
ارمان لما واثم هكذا

« ان ارمان لم يجيها قط وقد قال لي انه يجيها »

فتحدثت المركيزة على نصيحتها وهي تردد هذه العبارة « انه يجيها ولا
يجي » ثم انتم

« لم يجيها قط هل كان يستعملها لنفسها حاجاته . كيف امرأة مثلها
كرية الاصل تجه كل ما لها وتفتني رجلاً كهذا مجهول الاصل بل لا اصل
له يمشي بالخداع والسلب ان ذلك لعمري يظهر من المفضل . »

« ودامت هذه الحالة الرزية حالتها زماناً طويلاً وهو يجرها بكلام
يدل على ضم تعلوها الى ان فرغ « صبره ففهرارها بها ولم تره . »
« هذا ما وقف عليه يا عزيزي المركيز من اخبار قبور بانكتك صرك
الله على الاحتمال وادامك لصدك الوفي »

« يروشكي »

ولما فرغت من قرائها صحت سموها ودمت بالرسالة في الارض فقال
المركيز

— ما تقولين عن هذه الرسالة باحضرة المركيزة

— تعقني اللعن

— فهي اذن كاذبة غير صحيحة

— بل صحيحة كل الصحة

— او تقرين بذلك

— اقر وانقر يا قراري لان حياكي في طبع نظير طبي هو معاً اعظم

عقاب يلحق المرء واعظم اصلاح يرجمه

— انجبرين على مثل هذا الكلام مجبرني انا ديانك . . . انك

استغفرين امرّ العذاب

— ما يعني حكمك وما يفعل بي شئت والموت الذي تتوعدني به
اعلم داود لو يعني العالم بأسره... انني لا ارجي سواه ولا يعني الآ...
احب ما يحب وارذل ما يرذل لا يفرحي الا فرحه ولا يحزنني الا حزنه...
الما رضاء وجههم رجزه... وقد اماقني هذه الرسالة التي نصها هو على
الكتاب قبل ان تمهني يدك

— يا عذبة الرشاد لا تجدي في الموت قريب منك
— لا يعني الموت... فاننا اكرس له الان ما بقي من حياتي
— كرمي بالثقة ما بقي من حياتك الى الله خالقك... قد استخفقت
الموت وخضعت للعقاب فالعقاب تكبدته في هذه الساعة
— واطراً بالارض منهية ثم وقف وتناول بصفاً من جراره خدائين
فلخرها وقال

— قد قربت ساعتك يا بذبة فاركي واستغفري الله
— لا اخاف الموت يا خضرة المركز انه يرميني من طائي لماذا اعيش
وهو لم يعني قط

غير ان التعلق بالحياة وامل رؤية ارمان اخذ من قلبها كل ما أخذ
فتنهت قليلاً ثم استنهت ما بقي بها من النشاط واظمت تدور حول
الغرفة تفرع الجدران والنفاد وتطلب الاغاثة باصوات تمزق الاحياء حزناً
وكآبة والمركز ساع وراً ما يقدم حل مصوباً عليها خدائته وامراً لها بالقوبة
الى الله حتى فرغت الساعة الحادية بعد نصف الليل فاطلق النار وقعت
المسكية تخلع بدنها وهو المتهتم قائم امامها ينظر زعها فرحاً برأى دما وقلبة
ساكن لا شيء بجده كأنه قطعة جلود

— قد اخذنا بثارتنا والمجد لله ورفع عنا العار... لم يبق علي الا ان اقل
من العمل على الجلاذ

وسمع جلبة أرجل في الخارج والكوثة تصرخ
 « فيورينا فيورينا ... باحضرة المركز افتح لنا ثم صوت مطارق
 على الباب تزهزه من كل اطرافه . فادخل القنارة الثانية في احدى النيو
 واورى النار .

ودخلت امرانت وخدمها بعد ان قلع الباب فراوا الكونت هبهم الراس
 امام مضدته والمركزة طريحة في الارض وبها قليل من الرق

(٥)

وكانت الكوثة قد اخلت في غرفتها بعد ذهاب فيورينا فاخذت
 الافكار تجاذب قلبها وتمل لما الصعوبات العديدة التي وقعت فيها من
 قبل اغتها وارمان وزادها قلقاً بطوه المركزة عن الرجوع لمخافت ان تكون
 قد وقعت بما استدركته من الخطر قبل صعودها فتحقق قلبها وفرغ صبرها
 وكانت ان تصعد الى الطبق الاعلى لتظن ان الامر لولا خوفها من
 المركز فان يقابلها بغضب وازدراء . فبهتت تردد في ذلك الى ان سمعت
 صراخ المركز والصحيح المائل الذي احدثه . فطار الى الطبق الاعلى . اذ
 سمعت اطلاق الرصاص ثم سقطه جسم على الارض . ولعل نادت بخدمها
 طمرت باقتلاع الباب او تكسره فاعلمت المطارق . وعندها سمعت صعقة
 ثانية ففتق الباب ودخل جميع من كان خارجا .

وكانت هيئة الغرفة مفزعة هائلة لتلاؤم الانوار فيها امام رسوم اجناد
 المركز اولئك الصيوخ الاشدا الذين كانت مهايمهم باقية حتى على صورهم .
 وسيلان الدم كاهن من راس المركز وقلب المركزة مبطوحين على الارض
 بلا حراك .

ودنت امرانت من المركزة وبها اشارة حياة فاحضتها وقالت
 — باسم الله ... لم تمت بعد ... الا يوجد اطباء في هذه الجهات ..

فاجاب احد الخدم

— نعم ياسيدي في تلاميذو... لكن في هذه الساعة... والبحيرة
هاتجة لاجتياز

— يجب ان تساعد المصايين. ولئن ياتي بطبيب جراً عظيم عندي
فلهب احد الخدم طبعاً بالمال وحملت المركبة الى فراشها
وكان الصراخ قد استنهض اورور من رقادها فانت مسرعة وامسكت
الشيعة لارتفاعها من ذلك المنهد

— يا شقيقتي من قتل منام بريسكا

— رجل نظير ايننا بفضل قتل ابنته عن ان يراها مدنسة
ولمئت امر استقرب فراش المرحومة تسكب البلم على جرحها وتنشئها
بعض الروائح الحمية حتى سمعت جلبة رجل في الخارج واناساً يتكلمون
بصوت مختفئ فظلت الطبيب قد اقبلت واسرعت الى لقاء وما اقبلت الفرقة
الا اختطفنها يدان قويتان ووضع شبار في فمها وحس رجل في اذنها
(الحمد لله).

وكان الرجل ارمان قد اتى الى القصر وفي تبعه جنود كثيرة استحوذت
على كل منافذه فغرفة الكوتة ووقعت بين يديه مفشياً عليها .
وخرجت اورور من غرفة فيهربنا لتلقى باخها فوجدت نفسها امام
ارمان وصرخت

— ارمان... ارمان...

فدفعها يده وتقدم الى الفراش ليضع الكوتة ولم يخط خطوة الا رجع
الى الوراكن اخذه الحنو والشفقة ثم التفت الى بعض الجنود فقال
— ادعوا الطبيب

وبعد قليل وصل طبيب العمكر اتماً لا يامرهم وطالجم الكوتة بما اصحابها
ثم عمد الى المركبة فاستخرج الرصاصة من صدرها وساقها شراً بآ رد لها بعض

الرمق ففكرت شفتاها ونفخت عنهاها وإراحت الحراك فتظرت ارمان واقفاً
أمامها

— ارمان .. ارمان

ورفعت يديها عندهما لفوقهما لاقوى فيها وتمهدت قليلاً وقد استأثرت
ملاحظتها بالصدرة والفرج

— انني اموت الان مملوءة القلب ... قد رأيتك وهو فرني

فرق لها قلب ارمان وهو اصاب من الصغر وقبلها قبلة اشعات نار المحبة
في قلب اورور. وعاد الى مقام دنولوا نشاطها فاستهضت وطلبت مواجهة
ارمان فاسرع ومثل بحضرتها فقالت

— اردت ان اراك وأنا واقفة بك

— امرك!

— اين اورور

هي هنا. ارسلها الى حيث تشاء. اما انت فانك في حوزتي ولا اعتنك
مطلقاً

— ارمان

— ياسيدي

— أأصدق ما يقال عنك من قلة الشهامة والشرف

— صدقي ما شئت ... لا تنقذك من يدي قوة الجبن كهم

— انت عازم اذن على اختصامي .. وانملت العبرات من عنهاها

— انني عازم والله ما ضدي ..

— قلت لك انني لا اقدر ان احبك

— اذن استعبدك ...

واخذ يتمشى في الحجرة والغضب يقدح في عينه ثم عاود فقال

— احطري قد انتهت الى هنا والا بالمة جندي ونار الحميم في قلبي فلا بد

لي ان اتقم منك ومن بعلك الماكر الخناص

— ما ذنب بعلي اليك « يا عارف الجميل »

— اليس هو المانع الذي يحول بيننا ... كان المالك في ثيبيهما نفسي
بأثري كمن يسى ورأ وحش ضاروا المائد الان فايده ويتبين من منا
التوي القادر

— في ثيبيها اعطك من اسرك مخاطرأ بجماته وردك حرمتك

— سآ ما تكرم بعلي قد افلتي ليا سرتي مرة ثانية وفعل بي ما يشأ
خفية عنك

— ان زوجي يحضر عما قلل فافلتي قبل ان تفعله

— افلتك انت ... قد طلبت هذه الهزة من كل قلبي قد دخلت
المعسكر عندما شمر المحرب على ابطالها وحصلت على الرتب العالية والمقامات
السامية بنجاحي وغرضي المراك والممالك حتى اعجب بي قائدنا العظيم
يونانبارت والان اذ مكنتني السعادة فكيف لا انتهرها .

وكانت الكوتة تسمع كلامه بارتماد وخوف وفي قلب افكارها تفجد
حيلة بها تقوى علو ومعدى غصبة ففصل منه على الشفقة والرحمة

— ارمان الا فتكر مراراً بوالدتك

— والدتي ... انك تحبني دائماً عنها . هل لي والدة هل عرفت لي

اهلاً . انك همزتين بني . قد وجدت طفلاً بين ايدي غرباً قادوني الى
غابات اميركا فريمت بين المتوحشين ولم تد لي سوى يد امير قليل الاهتمام
كان غلغل الي فاعطاني مالا ووضعني تحت الحماية الملكية ظناً منه ان ذلك
كاف آلي والدة ... لا والدة حتى ولا صديق تشكوني

المهنة الاجتماعية . الما حتى المست في راذاثي ومعاقبتني بذنوب والذي .

الم اكر عن ولادتي منذ وجودي بينا المذنبون رائعون بالامن والاكرام ..
لو تعرفين ما هي عيشة ولد مثلي وجد لامعين له ولا شر يهديه ولا امل له

مستقبل كنت لا نجا لى . قد لعنت والدنى وأنا الان الصها
 — لالمن والدتك بارمان . كم تأملت وكنت تكبت من المفاق والاحزان
 لرافك ولكن من الظروف . . .

— اى الظروف تسع الام ان تترك ولدنا . لو عرفت لى اما للهوت
 مجها عن الشق وريت عزيزا كريما . اننى احس فى قلبى بجرائم للصالح
 وحسن الاخلاق ولوريت فى ظل والذى لعنت شهية صالحة وغرسها ركة
 والان قد فأت الزمان فانا هالك شرير اذهب يوما قريسة اموالي وجنوبى
 وما اتم كلامه الا اقبل الطيب لاهنا وانضى ثم قال

— ياسيدى المشير ان الامراة التى استعديت لى لى واما على شفا الموت
 وفي تدعوك وتدعو هذه السيدة

فاسرعت اليها وركعت الكوفة الى جيب فراشها واخذت تعظها
 — باعزى ان تتركين هذا العالم قبل ان تتروى بالقوبة للدخول فى

الآخرة

اريد قبل كل شيء ان اعطاه ارمان ابن هو

تقدم ارمان

— اصبى الى بارمان . قد يكون موتى عليك سيء العاقبة . وهذا الشيخ
 الذى قتله كلامك فكانك قتلتك يدك سيظلم منك امام منبر الله

ثم سكنت قليلا للاستراحة وطاوت

— اطمن مالا فانا اغفر لك وباركك . . . يغفر الله لى ما اقترفت
 من الاثام لفظاع موتى وطويل آلمى

وكان القبر قد تألق واتجلى واذا بالركب والزوارق مزدحمة على البحيرة
 والكثائب الفرنسية قد استخوفت على القرى المجاورة واغتصبت المدن

ودمرت البيوت واستغرقت الاطواق من الحوادث والمخاض وفي الحملة اقامت
بجفوق الحرب « فبعها الله » من الخراب والدمار

وكانت بلدياتهم من احسن الاستحكامات واقاموا كفتاح البلاد فلم
يجعل ذلك ارمان وعليه دفع الفرم عن الحسن القيام بهام رتبته . وقد اوصى
جنوده بنشاط المحافظة ومحاية السكان وامرهم باستثمار كل رجل ايطالياني
غريب عن بلدياتهم

وفي ضحوة النهار نقلت جثة المركزة الى الكنيسة ترميزاً واقامت عليها
الصلاة والحفلة اللاتنة اما المركز فلم يصل عليه . وكان ارمان يصدر
المخل حزيناً منكسر القلب يعرب خشوته عن كرم اخلاقه وحسن داخله
لواعلنت به يد نصوحة وردعة عن المعاصي فتقدم قبل ان تودع الجثة
في التراب وقبلها قبلاً كثيرة ثم سقى قبرها بدموع الكآبة وعاد وحده أسفاً
على تلك التي جادت بنفسها في سبيل حبه

وعند وصوله بلغه امر من قائد التمردة العام بونا بارت بعد اليو
قادة المخطئة كلها بجمعيته قائداً عاماً مطلق التصرف وتقدم اليو احد الحرس
ورفع كفه ثم قال

— قد اوقفنا في هذه الساعة رجلاً ايطاليانياً حسب امر سعادتك

— اين هو

— هنا في الكنيسة القديمة

— ايقوني به ما اسمة

— الكونت دندولو

وعندها ظهر اندر يا اصفر اللون مرق الثياب فانتفض ارمان عندما
ابصره

— أأنت انت

— نعم انا قد اتيتم لأعود بأسرتي الى فينيسيا فتكرم باعطائكم الاوامر

اللازمة لذلك

— متى تريد تذهب

— في الحال . ابن امرأت

فتراى اذ ذاك لارمان ماضي حياته وما قد تحمله من الالعاب والاحزان
وافكر بالأس الذي داخله عند ما سمع بزواج امرأت وشدة حنقها لقي
حملة على حب اورور واجتلابها واشتغالها واخذ مالها ليدلل امرأت ويحبرها
على الخضوع فاسمر ذلك نيران قلبه وقال
— لا يعنك امرها وهي لا تخرج من هنا

— لعلي وام . . . الممت حضرتك الميسوري نازيل . . . ان
الكوتة مطلقة الحرية وهي تلحق بي عن قريب

وصرف ارمان المخاضين باشارة خفيفة وبقي وحده مع الكوتة لا
يصمها الا كرمتي وقد اخفي وراء شجرة هناك
انك يا موسو دنسولوبعل امرأة احبها منذ عشرين امرأة شبعت
اثرها وانا عرضة للأخطار والامانات وفي الان في حوزتي فما تفعل لو كنت
مكاني

— افعل ما قد فعلت بك اي ارد الراحة الى ضدي

— رددت الراحة اليك فالهب باورور وبخدمك واتباعك كيف
شئت واما اصحبك بمجدي كي لا يمارضك احد
— لا اسير بدون امرأت

— انك اسير حرب اخذت مجاهراً بالعصيان على ما اخبرت فانك
من جملة الذين يقتلون . واما الامر كله فاني وانت نسي هدفا لرصاص
جنودي

— افعل ما شئت به فما اخاف الموت

— سر ولا تأخر الا تراني متوقفا عن امر فتلك مجالنا على القبط

الذي يضطرم في قلبي . فإذا بهتت وذكرت اسمها أو طلبت حقوقك هلكت
جانبا على نفسك دون غيرك

وما أتم كلامه إلا أقبلت الكوثة وانطرحت بينها فاندفع امرأتان
وانطلقت امرأتان . قلبه فاندفع ويده على قبضة سيفه يريد قتل الكونت غير
أنه توقف خوفاً من أن يصب امرأتان وهي معتقة بهما ثم رجع إلى الوراء .
وهو محتمل من الغضب ينظر السهم من قلبه وأمر باحضار عشرين جندياً إلى
حون الطلب وأخذ يمشي أمام الكونت والكوثة وهما جناحيان ذارعين
السروع وبعد هنيهة وقف وأدق بالكونت والبرق يظهر من تحت جنوبه
— أنك تعرفني . إذا أردت جدت وإذا جدت وجدت وقد طالما
طلبت امرأتك وما سكنت حتى ظفرت بها وإلا أنت تقتل ذليلاً
مكبلاً فإذا أخذتلك اخلت بها جاني وكنت طويلاً

وكان كلام ارمان رهيباً مخيفاً شعرت به الكوثة فالتفت إلى بعلا
وقالت

— يا عزيزي اندريا ماذا اصنع لحفظ حياتك وصيانة شرف بيتك

— قد اخترت الموت

— وإذا مت أنت فلا مناص لي من يد هذا الرجل انه قد مر ومن
الممكن ان لا اصل اليك الأمدنة

وكان ارمان يتبع حركات الكونت فرآه قد اصفر ولبت جامداً كمن
يفكر ثم قبل امرأتان وانقضها بيديه . فرى ارمان بنفسه عليه وقد فهم مراده
ودفعة دفعة القننة طريحا ثم دعا بعض الجنود وقال

— اوقفوا هذا اللص فلن نفلت ابداً

فقبض الجنود على الكونت وقيدوه بالابلال ولوثوه على شجرة هناك .
وعاد ارمان إلى امرأتان فقال

— وإلا يا حضرة السيدة تقدرين على الاستشارة وأنا انتظر

فدنت من زوجها وقالت

— يا عزيري أنت يا ليس لي قبل على فراقك وعلى هلاكك وهلاك
اخوتي . لم يعد لي وسع للاخبال والله لا يحيل المرء فوق طاقته
والثقت الى ارمان

— انتظري هنا لانك بحجاب منع والقسم لي بجمالك ألا يهيب اندريا
مكرو في غيابي

وقبلت زوجها وصعدت الى غرفها وهي حارمة ليجأت على نعيم امر
عظيم على قض وعد مكس قد طالما خاطرت بنفسها واحملت امانات
شقي وعذابات عذبة تخافه ان تنكته وحانت بعد هنية مع اورور حاملة
الصندوق التي اودعها اياها اما عند موتها ونظرت ارمان فقالت له
— مريتك رباط الكونت

تخدم ارمان وحلة يده واجمع الجميع قريبا فقالت
— اني مية بسرهما كلنا لما يننا من الصلات القوية سر كبر صفا .
حياتنا لوصلنا الى هذه العاقبة الصعبة فاسمع ما اتص عليكم . . . وعلو
ما احببتك يا ارمان رغمًا عما ارتكبت من الذنوب الراتمة وما حملتني من
الآلام والنقص إلا لأنّ والذني والذنيك . . . ولانك انت اخي . . .
فاشرأب الكونت وصرخ ارمان صرخة تعجب وقاطعها اورور فقالت
— اذن هو اخي

— انه اخوك ايضاً ولهذا ابعدته عنك ما استطعت
فلم تقوا اورور على السماع ووقعت غائبة الرشد على قديمي اخيما فاستدعما
امرانت على ركبتهما بحني وتعلف والذي ولرمان واقف مخفي الرأس ينظر
اليهما والكونت يساعد قريته على اتمام اخيما
وحيل صر ارمان فقال

— دعي هذه الخافلتنا بقا الطبيب واثنيني لي ما ادعيت فاني فقدت صبري

وإذا طال الحال قلت قسي . ماهذه الصدوقة التي بيديك وعلام تحوي
تضمن اسرار والدتنا وشرف عائلتنا
— فاذن اكذب بانني اخوك وان عشقي
— لا تقل عشقي وقد وقفت على السر وعرفت جهد الامر
— قد حم علي بالمحزن الدائم . . من كان ابني
— الشغاليريدي سانت مام ابن عمي الذي فحن اقارب من الاب والام
فاحمر الكونت عند ذلك
عواليدي بريئة ما عرفت بالمجرمة الأبد وقوعها بزمان وكفرت
عنها كل حماها

وتوقفت امرات عن الكلام فقال ارمان
— اكلمي اكلمي فقد وقع في نفسي ان اطلع على نعمة القصة
— سما امرها حادثة . . . هان والدي سلية قوم اماجد من آل لوزيان
قلدت ابويها في من صوبها فاخذها جدنا المركيزدي سانت مام تحت
ظلو وبذل العناية في حسن تربيتها وتربية حنيد (اييك الذي انت
نفسه مشابهة غريبة شعرت بها والدي اول مرة نظرتك) . وكان التنيان
مؤلفين باخاء وثيق العرى . وقد وقف جدنا على تحايلها فجاهل عن الامر
وهو غير راض بها اذ كان مراده ان يزف التناء على ولده
وكان الحفيد بديع المخلقة بطلاً بأسلاً وخادماً امراء مثلك فاصطبة
البرنس دي كوتي رغماً عن سوء سيرته واعسافه عن سبل الطريق
ولما بلغت والدي الثامنة عشرة من عمرها اطلعها وصيها علي مرامون
تكون امرأة لابو فاسترحمة عليها واقرت له بارتباطها مع الشغالير فاجابها
انه لا يسمع حباً بها ان تقتل رجل لا غير فهو ولا غنى له وانه يضعها تحت
حماية ولده امجد الرجال واحرصهم على الشرف وطلب الرفعة وهو يتقنها
عن كل الاخطار ويبعد عنها مناصات الشغالير

فلم تمنع والدتي جبانة منها وقملت الزفاف على ابي اكراماً . ورحل
 الشفاليير الى بلاد بعيدة وافثق ان اجبر ابي على السفر لجهة ما فلم يسمع ابي ان
 ترافقه لضعف الم بها من جرأه . الاحزان التي خامرها بعد الزيجة وفي
 تلك الاثناء رجع الشفاليير من سفره واستعمل للوصول الى ابي جهد الحيل
 والمخادع وعاد مسعاه بالحبوب عليه حتى فرغ والذي من اعماله واعلم بحضوره
 عن قريب فعزم ابن عمه على تسمية دنيته ان رشا خادم ابي وخادم ابي
 المقربين فاعلموا سببها ان المركز يصل تلك الليلة نيكاً على غير علم منها
 ليسر ما بدعته لطيفة شبيهة كهذه وسألاها ان تتجاهل لئلا يفتبه المركز
 انهما اطلعاهما على ما اجر سراً فاستعدت لارضاء زوجها وفي تلك الليلة
 اخرجت الخادمة العقوبة فتدبيل الترفيقها ودخلت المخدع الدنس وتمت
 المجردة في ظلمة عميقة بهادلة الفاظ تحب غش بها الشفاليير والدتي لهما
 المشابهة بين صوته وصوت ابي وعند الصباح افادت المركبة من رقادها
 فوجئت رسالة من زوجها يقول بها انه قد تأخر مبعاده في المجي الى سنة
 او تزيد فعرفت تسمية الشفاليير واستولى عليها الحزن وبعد قليل وحمت
 فكاد يطير عقلها حزناً وقهرًا وفكرت ان تقتل نفسها لولا حبها للشفاليير
 ولا بمآء ولد منه بعده

ولما حان لها وادتك يا ارمان وسلمتك رضيعاً الى احدي خادماها
 وارسلتها الى اميركا الشرقية مسقط راسها واهلها ربوك وعندما نشأت
 وكان ابي من الرجال النادر المثل من طليعة المركزين بمكا
 يفصل الشرف على الحماية ولو علم بما جرى لقتل ابي وقتلك وسفك دماين
 عنه بلا رحمة

فبعد الاجل المضروب عاد الى بيتي ووجد ابي في حالة مفزعة من
 الغيوم والاكتار والالام وكثيراً ما حدثتها نفسها ان تتطرح على اقدامه
 وتقر له انها لم تعد تسحق منانته ولكن خوفها على عمك وطبيك ان يلحق

زوجها بما مكروها ودعا عن الاعتراف ولكنها اكتفت لتكف عن ذنبها
 ان تحرر نفسها السور وتلزم العزل عن الناس وتعيش ايها في الزهد التام
 وبذلك حفظت لما طول عمرها سمعة حسنة في كل فرنسا ولم تلبث ان
 ولدتني ثم ان ولدت اخي واعرف انهما امضت يوماً الا بكيت على فراقك
 اسقاً اما ابوك فبقي على سيرة نفعها يعيش من مالنا حتى علم الي ما كان
 عليه من خصاصة الافعال وقلة الشرف فاستأذن الحكومة ان تنفيه من
 بلاده والملكة اتم الاهمال ولم ينسب الشغالير تلك النسوة الا لامي مدعيها انها
 هي التي حملت بعلمها على اضطهاده مع انها استعملت كل الوسائط
 لتسترضي زوجها عنه وكانت كالنخ في رماد وقد احس ابوك بالشفقة
 عليك في منقاه والتمها الى شفيع البرنس دي كوتي فاخبره انك
 ولدت له من امرأة قد ماتت وطلب اليه بلجاجة ان يفتذك من ظلم
 وسوء معاملة الغرباء وان يكفلك ضارباً صمغاً عن اصلك ومولتك
 حتى ينق الله لك باب فرج ونحسين حال فمن عليك البرنس واسترجعك
 من امورك الى فرنسا وعندها رايهاك ولا تجهل النية . واخبر مربيك اي
 انك مت غير ان قلبها كتب الخبر فلبست قبكي على شقاءك امر البكاء ولما
 ابصرتك اول مرة دلما فنادها انك انت انت وبعد موتها تركت لي هذه
 الصلوة ورسالة بها تسألني ان استبرئ عليك الارض وان ابحت عنك
 واهم بشأنك وانما لامرهما واجهت دي كوتي فوقفتي على الحقيق ولم يكتم
 عني شيئاً وحينئذ اخذت ان اهم بك اهتمام اخت شقيقة

وبعد رجوعي من فينسيا عرفت ان اورور قد عشتك فاخبرتني
 انك شاب من اصل مجهول فقهر حقير لست اهلاً لمصاهرتي فدعا اورور
 ولعبها اذا احببتك او تزوجت بك ومن ذلك الحين حلت بينكما لما ما
 وصلت ابي واقصت لما ان اكتبه عن العالم باسمه قد افشيت الآن اذان
 الضرورات تبع المظبوطات فاطلوا هذا المر بقلوبكم كانكم لم تسمعوا شيئاً

منه طياكم ان يباح به

فاجتم ارمان از درالايو وسالما

— وكيف مات ابي مرحمة الله عليه

تخله في سراز احد اصحابه ولا تادنس امراته ولم يحزن عليه

فبكته الى اخر دقيقة من حياها... وحائكها ارمان كانت امه

ولما فرغت من قصتها تعاقب الجميع عناق اخاء وصفاء وا

في رتبته مواظبا على عمله الى حين. فاصطحق قلبه وشفت جراحم

عواقبه العينة وكادت اوور تطير من النرج والمصره وقبلة

ذلك الذي طالما اشبهت من قبل ان تنظر اليه نظرة او ان تعاقب

ثم عادوا جميعا الى فرنسا بعد نهاية الحرب واستوطنوا فيها فاعين

هني وسرور وفؤاد لا يوصف.

واخبرت^(١) الايام على بليانينو فليست بعدم قفرا لا انفس فيها تزد

الان جذرائها العادية اصوات العهد والحرب وتتمثل بين اصحابها

والكرب

١ نقلت

٢٩٩٥

و

٤٤٦



مؤثر	مؤثر	مطر	فہ
مؤثر	مؤثر	۷	۱
مہار	مہار	۱۶	۱
مردن	مردن	۷	۲
مائل	مائل	۱۳	۶
وجه المترنج	وجه المترنج	۱۴	۱۳
لقاویل	لقاویل	۱۳	۲۳
المہمان	المہمان	۲	۲۶
ذہبت	ذہبت	۱۹	۲۸
حطو	حطو	۲۱	۲۸
اماء	اماء	۷	۳۷
ابہلہ	ابہلہ	۱۰	۷۰
المسور	المسور	۶	۱۰۷
الصلاۃ	الصلاۃ	۴	۱۱۲

